ناصر الحزيمي

حرق الكتب في التراث العربي



منشورات الجمل

مقدمة

هذا جزء لطيف في حجمه جمعت فيه بعض ما مر بي من حوادث وأخبار إتلاف الكتب في التراث العربي قصرته على نوعين فقط من الإتلاف..

النوع الأول: إتلاف السلطة للكتاب، وتتجلى السلطة هنا بجميع أنماطها وتحليلاتها سواء كانت هذه السلطة تتمثل بسلطة الحاكم أو المجتمع أو الفرد أو تتمثل بسلطة الأيديولوجيا أو العادات والتقاليد، وكان لها دور في إتلاف الكتاب ومطاردته ونفيه.

النوع الثاني: الإتلاف الشخصي للكتب، ويتمثل بالإتلاف لأسباب علمية أو اعتقادية أو نفسية، وهو كثير في تراثنا العربي والإسلامي.

ولعل البعض هنا سيستغرب أننا لم نتناول الإتلاف بسبب الحروب والقلاقل والتلف بسبب الحوادث والكوارث، وهي أسباب لها دور كبير في إتلاف الكتب، والسبب في عزوفنا عن تناول ذلك يعود إلى أننا قصدنا إبراز السبب القصدي وراء إتلاف

الكتب في هذا الجزء، وابتعدنا عن الإتلاف الذي شمل الجميع من حروب وكوارث خصوصا وأن التلف الذي لحق الكتاب بسبب الحروب لم يقتصر على أمة دون أخرى، فالجميع أحرق والجميع أتلف وحتى هذه الساعة.

الكتابة

«إنا أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب»[1]

هذا النص يقرر أمية الأمة التي ظهر فيها الإسلام ولهذا رفعوا من شان الحفظ ومجدوه حتى أصبح من أهم وسائل تحمل الرواية، بل ذم بعض الصحابة كتابة الحديث.

كالذي روي عن أبي نضرة قال: «قيل لأبي سعيد: لو أكتبتنا الحديث. فقال: لا نكتبكم، خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم.»[2]

وعن ابن عباس قال: «إنا لا نَكْتُبُ العلم ولا نُكتِبُهُ»[3].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إنه كان ينهي عن كتابة العلم وقال: إنما ضل من كان قبلكم بالكتب»[4].

فهذه النصوص جميعها تذم الكتابة والكتاب وهو موقف موروث عن الفترة التي سبقت الإسلام.

قال إعرابي: «حرف في تامورك خير من عشرة في كتبك.»

وقد أشار أبو عمر بن عبد البر لذلك فقال: «من ذكرنا قوله في هذا الباب فإنما في ذلك مذهب العرب لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك والذين كرهوا الكتاب كابن عباس،

والشعبي، وابن شهاب والنخعي وقتادة ومن ذهب مذهبهم وجبل جبلتهم كانوا قد طبعوا على الحفظ، فكان أحدهم يجتزيء بالسَمْعَة.

ألا ترى ما جاء عن ابن شهاب إنه كان يقول: إني لأمرّ بالبقيع فأسد أُذنيٍّ مخافة أن يدخل فيهما شيء من الخنا فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته.

وجاء عن الشعبي نحوه وهؤلاء كلهم عرب، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(نحن أمَّةٌ أميَّةٌ، لا نكتب ولا نحسب). وهذا مشهور أن العرب قد اشتهرت بالحفظ كان بعضهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة، وقد جاء أن ابن عباس رضي الله عنه حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

«أمِنْ آل نُعْم أنت غادٍ فمبكر

في سمعة واحدة على ما ذكروا...»(٥)

فاحتقار كتابة العلم بالقراطيس هو سمة عربية صميمة وهو رأي جمعي عند العرب المتقدمين أورثوه لمسلمي صدر الإسلام.

«عن الأصمعي قال: سمع يونس بن حبيب رجلا ينشد:

استودع العلم قرطاسا فضيعه

وبئس مستودع العلم القراطيس

فقال يونس: قاتله الله ما أشد صيانته للعلم، وصيانته للحفظ،

إن علمك من روحك، وأن مالك من بدنك، فصن علمك صيانتك روحك وصن مالك صيانتك بدنك.»[٦]

ولهذا السبب نجد مجموعة من الصحابة عملوا على إتلاف الكتب إلا كتاب الله وحثوا على ذلك وشجعوه ومن الأمثلة على ذلك..

عمر بن الخطاب:

عن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنة، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار: «من كان عنده شيء فليمحه.»[٧]

علي بن أبي طالب:

عن عبد الله بن يسار قال: سمعت عليا يخطب يقول: «أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه، فإنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم.»[٨]

أبو موسى الأشعري:

عن أبي بردة «ابن أبي موسى الأشعري» قال: «كتبت عن أبي كتابا كبيرا فقال: إئتني بكتبك، فأتيته بها، فغسلها.»[٩]

وعن أبي بردة قال: «كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فقمنا لنكتبها. فقال: أتكتبون ما سمعتم مني؟ قلنا: نعم. قال: فجيئوني به، فدعا بماء فغسله، وقال: إحفظوا عنا كما حفظنا.»[١٠]

عبد الله بن مسعود

عن الأسود بن هلال قال: «أُتِيَ عبد الله بصحيفة فيها حديث فدعا بماء فمحاها، ثم غسلها، ثم أمر بها فأخرجت، ثم قال: أُذَكِّر بالله رجلا يعلمها عند أحد إلا أعلمني به، والله لو أعلم إنها بدير هند لبلغتها، بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.»[11]

وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: «أصبت أنا وعلقمة صحيفة، فانطلق معي إلى ابن مسعود بها، وقد زالت الشمس أو كادت تزول، فجلسنا بالباب، ثم قال للجارية: أنظري من بالباب؟ فقالت: علقمة والأسود. فقال: إئذني لها. فدخلنا، فقال: كأنكما قد أطلتما الجلوس؟ قلنا: أجل. قال: فما منعكما أن تستأذنا؟ قالا: خشينا أن تكون نائما. قال: ما أحب أن تظنوا بي هذا، إن هذه ساعة كنا نقيسها بصلاة الليل، فقلنا: هذه صحيفة فيها حديث حسن. فقال: يا جارية هاتي الطست وأسكبي فيه ماء. قال: فجعل يمحوها بيده ويقول: (نحن نقص عليك أحسن القصص) فقلنا: أنظر فيها فإن فيها حديثا عجبا، فجعل يمحوها ويقول: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره.»[12]

إن مثل هذه المواقف أوجدت نوعا من الجرأة المبررة على إتلاف المدون (الحديث النبوي) ما عدا القرآن وعليه فمن باب

أولى أن يتلف ما عداه فيما بعد والذي شمل كتب الرأي والكلام وغيرهما حيث يحتج المتأخر بفعل المتقدم ومسلكه وهو موقف خدم كثيرا السلطة الأبوية التي انتقلت من طور إلى طور آخر اكثر نضجا واتساعا حيث تبنته السلطة الزمنية ومارسته مع احتفاظ كل نسق بمواقفه من المدون وخصوصية هذه المواقف فالعداء قبل الإسلام يشمل عموم المدوّن وفي الفترات المبكرة من الإسلام استثني القرآن الكريم من هذا العداء فدون مصحف عثمان وأتلف ما عداه من المصاحف . ثم تطور الموقف فاستثني تدوين السنة مع القرآن وكره ما عداه مثل كتب الرأي (الفقه المجرد) والتي استثنيت فيما بعد . . حتى شمل ذلك كتب الأدب والتاريخ واللغة وأصبح الإتلاف ينحو منحى آخر كما سنبينه في «أسباب إتلاف الكتب . »

الهوامش:

(١) رواه ابن ماجة وأبو داود والنسائي عن ابن عمر مرفوعا.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ / ٢٧٢

(٣) المرجع السابق ج ١/ ٢٧٥.

(٤) المرجع السابق ج ١/ ٢٨٠.

(٥) المرجع السابق ج ١/ ٢٩٦.

(٦) المرجع السابق ج ١/ ٢٩٤.

(٧) المرجع السابق ج ١/ ٢٧٥.

(٨) المرجع السابق ج ١/ ٢٧٢.
(٩) المرجع السابق ج ١/٢٨٢.
(١٠) المرجع السابق ج ١/٢٨٢.
(١١) المرجع السابق ج ٢/٢٧٨.
(١٢) المرجع السابق ج ١/١٨٣.

أسباب إتلاف الكتب

هناك عدة أسباب وراء إتلاف الكتب من أبرزها ستة أسباب وهي:

أولا – الأسباب الشرعية.

ثانيا – الأسباب العلمية.

ثالثا – الأسباب السياسية.

رابعا – الأسباب الاجتماعية والقبلية.

خامسا – الأسباب النفسية.

سادسا – الأسباب التعصبية.

أولا – الأسباب الشرعية:

يكاد أن يكون هذا السبب من أهم الأسباب التي أوردناها آنفا بل يكاد أن يكون السبب الرئيس في ظاهرة إتلاف الكتب في تراثنا الإسلامي والعربي، وكما أشرنا في سطور سابقة إننا مجتمعات أبوية وأكدنا على ذلك، وعليه عزز جانب الإجماع على أمر معين مثل الإجماع على (المصحف الإمام) وإحراق ماعداه من

المصاحف، فالإجماع في الشريعة الإسلامية يمثل المصدر الثالث بعد القرآن الكريم والسنة عند جمهور علماء السنة وعليه فالإجماع على إتباع المصحف الإمام وإحراق ما عداه يقاس عليه إتباع الكتاب والسنة وإتلاف ما عداه من كتب الرأي أولا ثم انسحاب هذا الموقف على كتب أخرى فيما بعد، حيث سيسهل إتلاف كتب العلوم الأخرى والإفتاء بذلك من قبل بعض العلماء.

يقول ابن قيم الجوزية في الطرق الحكيمة:

« . . .وكذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها. قال المروزي قلت لأحمد استعرت كتابا فيه أشياء رديئة ترى أن أخرقه أو أحرقه؟ قال نعم. وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم بيد عمر كتابا اكتتبه من التوراة وأعجبه موافقته للقرآن فتمعّر وجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى ذهب به عمر إلى التنور فألقاه فيه فكيف لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما صنف بعده من الكتب التي يعارض بها ما في القرآن والسنة والله المستعان.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم من كتب عنه شيئا غير القرآن أن يمحوه ثم أذن في كتابة سنته ولم يأذن في غير ذلك، وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة غير مأذون فيها بل مأذون في محقها وإتلافها وما على الأمة أضر منها. وقد حرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان لما خافوا على الأمة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت

الخلاف بين الأمة والتفرق.

وقال الخلال أخبرني محمد أبن أبي هارون أن أبا الحارث حدثهم قال: قال أبو عبد الله أهلكهم وضع الكتب تركوا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على الكلام. وقال اخبرني محمد بن أحمد بن واصل المقري قال سمعت أبا عبد الله وسئل عن الرأي فرفع صوته وقال لا يثبت شيء من الرأي عليكم بالقرآن والحديث والآثار. وقال في رواية ابن مشيش إن أبا عبد الله سأله رجل فقال أكتب الرأي فقال ما تصنع بالرأي عليك بالسنن فتعلمها وعليك بالأحاديث المعروفة. وقال عبد الله بن أحمد سمعت أبي يقول هذه الكتب بدعة وضعها. وقال إسحق بن منصور سمعت أبا عبد الله يقول لا يعجبني شيئا من وضع الكتب، من وضع شيئا من الكتب فهو مبتدع.

وقال المروزي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا حماد بن زيد قال، قال لي ابن عون يا حمّاد هذه الكتب تضل، وقال الميموني ذاكرت أبا عبد الله خطأ الناس في العلم فقال وأي الناس لا يخطئ ولا سيما من وضع الكتب فهو أكثر خطأ. وقال أسحق سمعت أبا عبد الله وسأله قوم من أردبيل عن رجل يقال له عبد الرحيم وضع كتاباً فقال أبو عبد الله هل أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا أو أحد من التابعين، وأغلظ وشدد في أمره وقال انهوا الناس عنه وعليكم بالحديث. وقال في

رواية ابن الحارث ما كتبت من هذه الكتب الموضوعة شيئا قط.

وقال محمد بن زيد المستملي سأل أحمد رجلا فقال: أكتب الرأي؟ قال لا تفعل عليك بالحديث والآثار، فقال له السائل إن ابن المبارك قد كتبها فقال له أحمد: ابن المبارك لم ينزل من السماء إنما امرنا أن نأخذ العلم من فوق.

وقال عبد الله بن أحمد سمعت أبي وذكر وضع الكتب فقال أكرهها هذا أبو فلان وضع كتابا فجاء أبو فلان فوضع كتابا وجاء فلان فوضع كتاباً فهذا لا انقضاء له كلما جاء رجل وضع كتابا وهذه الكتب وضعها بدعة كلما جاء رجل وضع كتابا وترك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليس إلا الاتباع والسنن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعاب وضع الكتب وكرهه كراهة شديدة. وقال المروزي في موضع آخر قال أبو عبد الله يضعون البدع في كتبهم إنما أحذر عنها أشد التحذير.

قلت إنهم يحتجون بمالك أنه وضع كتابا فقال أبو عبد الله هذا ابن عون والتيمي ويونس وأيوب هل وضعوا كتابا؟ هل كان في الدنيا مثل هؤلاء؟ وكان ابن سيرين وأصحابه لا يكتبون الحديث فكيف الرأي وكلام أحمد في هذا كثير جدا ذكره الخلال في كتاب العلم. ومسألة وضع الكتب فيها تفصيل ليس هذا موضعه، وإنما كره أحمد ذلك ومنعه منه لما فيه من الاشتغال به والإعراض

عن القرآن والسنة والذب عنهما، وأما كتب إبطال الآراء والمذاهب المخالفة لهما فلا بأس بها وقد تكون واجبه مستحبة ومباحة بحسب اقتضاء الحال والله اعلم.

والمقصود من هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعارف وإتلاف آنية الخمر فإن ضررها أعظم ومن ضرر هذه، ولا ضمان في كسر أواني الخمر وشق زقاقه...»

وقد احرق نعيم بن حماد سماعه من إبراهيم بن أبي يحيى أبو إسحاق الأسلمي المدني قال نعيم: «أنفقت على كتبه خمسة دنانير، ثم أخرج إلينا يوما كتابا فيه القدر وكتابا فيه رأي جهم، فقرأته فعرفت، فقلت: هذا رأيك! قال: نعم.»

فحرقت بعض كتبه وطرحتها.[1]

ومزق ابن المبارك ما كتب عن ثابت بن أبي صفية بسبب سوء اعتقاد ابن أبي صفية في عثمان رضي الله عنه.[2]

وأحرق أبو جعفر النفيلي ما كتب من حديث عن أَبْيَنْ بن سفيان المقدسي حينما تبين له انه مرجئ.[3]

ثانياً السبب العلمي:

وهذا السبب من الأسباب الدقيقة التي لا يفقهها إلا من أدمن

المطالعة لكتب التراجم وعلم الأسانيد ولا بأس أن نقرب هذا السبب... وهو أنهم في مرحلة الجمع والتدوين والإملاء، كان الشيخ يملي على تلاميذه المادة وغالبا هي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكان التلاميذ يحضرون عند الشيخ بجميع عدة الإستملاء فيكتبون عنه وتضبط أسماء هذا المجلس في محضر يحفظ عند الشيخ وعند تلاميذه الذين يريدون نفس هذا المحضر فيعرف من حضر وسمع ومن لم يحضر وتاريخ السماع. هذا المحضر وما سمعه التلميذ يطلق عليه (أصل السماع) ولأنهم يخشون أن يزوِّر أحد الكذابين هذا الأصل بحيث يكشط اسم أحد التلاميذ ويضع اسمه في مكانه كان العلماء يتلفون هذه الأصول في حياتهم أو يوصون بإتلافها بعد وفاتهم وهذا ما سلكه أغلب علماء الحديث صيانة للحديث النبوي، والأمثلة على ذلك كثيرة، وهنالك جانب آخر من جوانب الإتلاف لأسباب علمية وهو مخالفة الشرط العلمي في الرواية والتلقي حيث نجد أن مخالفة الشروط العلمية في بعض الأحيان مدعاة لإتلاف الكتب.

قال يحيى بن معين: «بالعراق كتاب ينبغي أن يدفن تفسير الكلبي، عن أبي صالح.

وبالشام كتاب ينبغي أن يدفن كتاب الديات لخالد بن يزيد بن أبي مالك، لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على الصحابة.»[٤]

ثالثا - السبب السياسي:

من اقدم الأسباب السياسية لإتلاف الكتب التي مرت علينا أثناء جمعنا لمادة هذا الكتاب واقعة حدثت في المدينة سنة ٨٢ هـ حيث أحرق كتاب يحتوي على فضائل الأنصار وأهل المدينة خشي عبد الملك بن مروان أن يقع بيد أهل الشام فيعرفوا لأهل المدينة فضلهم وهو خلاف ما عممه عنهم بنو أمية في الشام.

رابعا - السبب الاجتماعي والقبلي:

يقول الوزير جمال الدين القفطي في كتاب «أنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة» في ترجمته لابن الحائك الحسن بن أحمد الهمداني: «وكتابه في معارف اليمن وعجائب أهله، المسمى (بالأكليل) وهو عشرة أجزاء... وهو كتاب جليل جميل عزيز الوجود لم أر منه إلا أجزاء متفرقة... وهي على تفرقها تقرب من نصف التصنيف وصلت في جملة كتب الوالد المخلّفة عنه حصّلها عند مقامه هناك وقيل أن هذا الكتاب يتعذر وجوده تاما، لأن المثالب المذكورة فيه، في بعض قبائل اليمن... وأعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب، وتتبعوا إعدام النسخ منه، فحصل نقصه لهذا

السبب. »[٥]

ومثل هذه الواقعة كثيرا ما وقعت حيث تتبع آثار مؤلفين وشعراء ذكروا بالذم أو الهجاء أهل بلد أو قبيلة معينة فتتلف كتبهم حتى يعتريها النسيان.

خامسا - السبب النفسي:

خير مثال على هذا السبب هي واقعة إحراق أبي حيان التوحيدي لكتبه والتي تناولناها بالبسط وهناك واقعة أخرى وقعت لأحد الشعراء حيث غسل قصيدة من شعره بسبب الغيظ وحدة الانفعال وقد ذكرنا هذه الواقعة في هذا الكتاب في ترجمة «أحمد بن محمد النامي الدرامي.»

سادسا - السبب التعصبي:

كثيرا ما فعل التعصب والجهل أفاعيله في تراثنا العربي فأتى على الأخضر واليابس عبر عدة أنساق منها الاجتماعي ومنها الديني ومنها المذهبي أو العرقي ومنها السياسي إلى غير ذلك من أنساق تعصبية كان لها دور في إتلاف كتب التراث كما حدث مع كتاب «النصرة لمذهب إمام دار الهجرة.»[٦]

تأليف الإمام القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي[٧] حيث وقع بيد بعض قضاة الشافعية بمصر فغرقه في النيل بسبب التعصب المذهبي.

الهوامش:

(١) ميزان الاعتدال ج ١ / ٦١.

(٢) الميزان ج ١ /٣٦٣.

(٣) الميزان ج ١ /٧٨.

(٤) الميزان ج ١ /٦٤٥.

(٥) راجع إنباه الرواة ج ١ /٣١٤.

(٦) راجع نفح الطيب للمقري ج ٣ /٢٧٤.

(٧) راجع ترجمته في كتاب (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب) لابن فرحون المالكي ص ١٥٩.

طرق إتلاف الكتب

تعددت طرق إتلاف الكتب في تراثنا إلا أنها لم تخرج عن أربع طرق معروفة ومعهودة وهي:

أولا: إتلاف الكتب بالحرق.

ثانيا: إتلاف الكتب بالدفن.

ثالثا: إتلاف الكتب بالغسل بالماء والإغراق.

رابعا: إتلاف الكتب بالتقطيع والتخريق.

الإتلاف بالحرق

تعتبر هذه الطريقة من أشهر طرق إتلاف الكتب حيث استعملت غالبا في الساحات العامة وغالبا هي طريقة السلطة في التعبير عن رفضها العلني لكتب وأفكار معينة وسيمر علينا في المسرد التاريخي ما يدل على استعمال السلطة لهذه الطريقة غالبا.

الإتلاف بالدفن

يغلب على هذه الطريقة الإتلاف الفردي للكتب الخاصة ولا أعرف نصا ينص على أن السلطة قد مارست إتلاف الكتب بالدفن بل غالبا هي إحراق أو إغراق أو تقطيع.

الإتلاف بالغسل والإغراق

مورست هذه الطريقة غالبا في الإتلاف الفردي للكتب وهي السائدة هنا حيث كان بعضهم يغرق كتبه في البحار أو الأنهار أو يعمل على غسلها للاستفادة مرة أخرى من الورق.

الإتلاف بالتقطيع والتخريق

تعتبر هذه الوسيلة من أقل الوسائل المستعملة في إتلاف الكتب واستعملت غالبا من قبل السلطة.

السلطة واغتيال الكتب

سنة ٨٢ هـ[١]

قال عبد الرحمن بن يزيد[٢]: قدم علينا سليمان بن عبد الملك حاجا سنة اثنين وثمانين، وهو ولي عهد، فمر بالمدينة، فدخل عليه الناس، فسلموا عليه، وركب إلى مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم التي صلّى فيها، وحيث أصيب أصحابه بأحد، ومعه أبان بن عثمان، وعمرو بن عثمان، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي احمد، فأتوا به قُباء، ومسجد الفضيخ، ومشربة أم إبراهيم، وأحد، وكل ذلك يسألهم، ويخبرونه عما كان. ثم أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سِيَرَ النبي – صلى الله عليه وسلم – ومغازيه، فقال أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به فأمر بنسخها وألقى فيها (إلى) عشرة من الكتاب فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأمصار في العقبتين، وذكر الأنصار في بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل. فإما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا. فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه، إنَّ القول بالحق: هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال: ما حاجتي إلى أن انسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفه،

فأمر بذلك الكتاب فحُرق. وقال: أسأل أمير المؤمنين إذا رجعت، فإن يوافقه، فما أيسر نسخه، فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبر أباه بالذي كان من قول أبان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تعرف أهل الشام أمورا لا نريد أن يعرفوها. قال سليمان: فلذلك يا أمير المؤمنين أمرت بتخريق ما كنت نسخته حتى أستطلع رأي أمير المؤمنين. فصوب رأيه. وكان عبد الملك يثقل عليه ذلك، ثم إن سليمان جلس مع قبيصة بن ذؤيب، فأخبره خبر أبان بن عثمان وما نسخه من تلك الكتب، وما خالف أمير المؤمنين فيها، فقال قبيصة: لولا ما كرهه أمير المؤمنين لكان من الحظّ أن تعلمها وتعلّمها ولدك وأعقابهم، إنّ حظّ أمير المؤمنين فيها لوافر، إن أهل بيت أمير المؤمنين لأكثر من شهد بدرا، فشهدها من بني عبد شمس ستة عشر رجلا من أنفسهم وحلفائهم ومواليهم، وحليف القوم منهم، ومولى القوم منهم. وتوفي رسول الله َ صلى الله عليه وعلى آله – وعماله من بني أمية أربعة: عتاب بن أسيد على مكة، وأبان بن سعيد على البحرين، وخالد بن سعيد على اليمن، وأبو سفيان بن حرب على نجران، عاملا لرسول الله َ صلى الله عليه وسلم – ولكني رأيت أمير المؤمنين يكره من ذلك شيئا، فما كره فلا تخالفه. ثم قال قبيصة: لقد رأيتُني وأنا وهو َيعني عبد الملك – وعدّةٌ من أبناء المهاجرين، ما لنا علمٌ غير ذلك حتى أحكمناه، ثم نظرنا بعد في

الحلال والحرام. فقال سليمان: يا أبا إسحق، ألا تخبرني عن هذا البغض من أمير المؤمنين وأهل بيته لهذا الحيّ من الأنصار وحرمانهم إيّاهم لِمَ كان؟ فقال: يا ابن أخي، أول من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان، ثم أحدثه أبو عبد الملك، ثم أحدثه أبوك: فقال: علام ذلك؟ فقال: فوا الله ما أريد به إلا لأعلمه وأعرفه.

فقال: لأنهم قتلوا قوما من قومهم، وما كان من خذلانهم عثمان رضي الله عنه - فحقدوه عليهم، وحنقوه وتوارثوه، وكنت أحبُّ لأمير المؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم، وأن أخرج من مالي، فكلّمْه. فقال سليمان: أفعلُ والله. فكلمه وقبيصةُ حاضرٌ، فأخبره قبيصة بما كان من محاورتهم. فقال عبد الملك: والله ما اقدر على ذلك، فدعُونا من ذكرهم، فأسكت القوم.

الهوامش:

(١) نقل بنصه عن كتاب الموفقيات للزبير بين بكار ص ٢٧٥.

(٢) هو سليمان بن عبد الملك أبو أيوب ولد سنة ٦٠ هـ وولي الخلافة سنة ٩٦ هـ وتوفي سنة ٩٩ هـ.

سنة ١٦٣ هـ[1]

«ذكر أن المهدي[2] سلك في سفرته هذه طريق الموصل.. حتى انتهى إلى حلب فأتته البشرى بها بمقتل المقنع[3]، وبعث وهو بها عبد الجبار المحتسب لجلب من بتلك الناحية من الزنادقة.[4] ففعل، وأتاه بهم وهو بدابق فقتل جماعة منهم وصلبهم وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بالسكاكين...»

الهوامش:

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ٥٦٨ / وتاريخ ابن الوردي ج ١ /١٩٢/ المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ٢٦٢ / تاريخ أبي الفداء أحداث سنة ١٦٣.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد سنة ١٢٧ هـ وتوفي سنة ١٦٩ هـ ولي الخلافة بعد أبيه المنصور وهو ثالث خلفاء بني العباس.

(٣) هو حكيم المقنع خرج على المهدي بخراسان سنة ١٦١ هـ راجع تاريخ الطبري حوادث سنة ١٦١ هـ.

(٤) اشتهر عن المهدي شدته على الزنادقة حتى استحدث ما يسمى (بصاحب الزنادقة) وهو رجل منصب من قبل الخليفة تنحصر مهمته بتتبع الزنادقة وامتحانهم وقد أوكل المهدي لهذه المهمة عمر الكلواذي سنة ١٦٧ هـ ثم محمد بن عيسى المعروف بحمدويه سنة ١٦٨ هـ بعد وفاة الأول. يقول السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٣١٣ «تتبع

الزنادقة وأفنى منهم خلقا كثيرا، وهو أول من امر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين»، وهو الذي قتل صالح بن عبد القدوس بتهمة الزندقة.

ويذكر الذهبي في تاريخ الإسلام في حوادث سنة ٣٢٢ هـ رأي محمد بن العباس الخراساني في المهدي فيقول: «... وبالغ في إتلاف الزنادقة وأحرق كتبهم لما أظهروا المعتقدات الفاسدة كابن ديصان وماني وابن المقفع وجما دعجرد...»

سنة ٣١١ هـ

قال ابن الجوزي[1] في حوادث هذه السنة: « . . .وفي نصف رمضان أحرق على باب العامة صورة ماني وأربعة أعدال[2] من كتب الزنادقة فسقط منها ذهب وفضة مما كان على المصاحف له قدر . »

الهوامش:

(١) راجع كتاب «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لأبي الفرج ابن الجوزي هـ ج ١٣/ ٢٢٠.

(٢) جاء في تاج العروس مادة (ع د ل) «العدل، بالكسر نصف الحمل يكون على أحد جانبي البعير. وقال الأزهري: العدل اسم جمل معدول بحمل أي مسوّى به، ج أعدال وعدول. » والمعنى هنا يقتضي أنه حمل أربعة جمال.

سنة ٣٢٢ هـ

قال ابن الأثير في الكامل[١]: « ...وفيها أحضر أبو بكر بن مقسم[٢] ببغداد في دار سلامة الحاجب وقيل له: إنه قد ابتدع قراءة[٣] لم تعرف وأحضر ابن مجاهد[٤]، والقضاة، والقراء، وناظروه فاعترف بالخطأ وتاب منه، وأحرق كتبه. »

الهوامش:

(١) حوادث سنة ٣٢٢ هـ.

(٢) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن أبو بكر بن مقسم المقريء العطار ولد سنة ٢٦٥ هـ وتوفي سنة ٣٥٤ هـ له ترجمة في تاريخ بغداد ج٢/ ٢٠٦/والمنتظم حوادث سنة ٣٥٤ هـ وتاريخ الإسلام للذهبي في نفس العام وكذا ابن كثير في البداية والنهاية.

(٣) ذكر الخطيب البغدادي قال: قال أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم: « وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أن كل ما صح عنده وجه في العربية لحرف من القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها فابتدع بقيله ذلك بدعة ضل عن قصد السبيل وأورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل ما لا ياتيه من بين يديه ولا من خلفه، إذ جعل لأهل الإلحاد في دين الله بسيّيء رأيه طريقا إلى مغالطة أهل الحق بتخير القراءات من جهة

البحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر المفترض.»

(٤) هو أحمد بن موسى بن عباس بن مجاهد أبو بكر شيخ القراء في عصره توفي سنة ٣٢٤ هـ له ترجمة في تاريخ بغداد ج ٥ / ١٤٤ وغيره.

القرن الرابع ٣٥٠ هـ

ذكر أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي في كتاب «تاريخ قضاة الأندلس» في ترجمة القاضي محمد بن يبقى بن زرب: «...واعتنى القاضي ابن زرب بطلب أصحاب ابن مسرة[١] والكشف عنهم واستتابة من علم أنه يعتقد مذهبهم، وأظهر للناس كتابا حسنا وضعه في الرد على ابن مسرة قُرىء عليه وأخذ عنه. وكان سنة ٣٥٠ هـ استتاب جملة جيء بهم إليه من اتباع ابن مسرة، ثم خرج إلى جانب المسجد الجامع الشرقي، وقعد هناك، فأحرق بين يديه ما وجد عندهم من كتبه واوضاعه، وهم ينظرون إليه في سائر الحاضرين»[٢] ونقل المقري عن المطمح قال: «إن ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سبق فيها، وانتسق في سلك مقتفيها، وكانت له إشارات غامضة، وعبارات عن منازل الملحدين غير داحضة، ووجدت له مقالات ردية، واستنباطات مردية، نسب بها إليه رهق، وظهر له فيها مَزْحَل عن الرشد ومزهق، فتتبعت مصنفاته بالحرق، واتسع في استباحتها الخرق، وغدت مهجورة، على التالين محجورة، وكان له تنميق في البلاغة وتدقيق لمعانيها، وتزويق لأغراضها وتشييد لمبانيها.»[٣]

ثـم قال المقري: «وهو من نمط الصوفية الذين تُكُلِّمَ فيهم، والتسليم أسلم.»[٤]

الهوامش:

(١) هو محمد بن عبد الله بم مسرة بن نجيح من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبد الله صوفي اندلسي رمي بالزندقة ولد سنة ٢٦٩ (هـ) وتوفي سنة (٣١٩ هـ).

راجع ترجمته في كتاب (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس) لابن الفرضي ج ٢/ ٤١و«جذوة المقتبس» للحميدي ص ٦٣ والأعلام لخير الدين الزركلي ج ٦/ ٢٢٣.

(٢) ص ٧٧.

(٣) راجع نفح الطيب ج ٥/٩٨.

(٤) المرجع السابق.

سنة ٣٦٦ هـ

ذكر الصفدي في ترجمة الحاجب الملك المنصور الأندلسي فقال:

«...محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد القحطاني المعافري الأندلسي الحاجب الملك المنصور أبو منصور، كان مدبر دولة المؤيد بالله هشام بن المستنصر الأموي، عمد أول تغلبه إلى خزاين كتب المستنصر فأبرز ما فيها من صنوف التواليف بمحضر خواصه العلماء وأمر بإفراد ما فيها من من كتب الأوايل حاشى كتب الطب والحساب وأمر بإحراقها وطم بعضها وكانت كثيرة جدا فعل ذلك تحببا إلى العوام وتقبيحا لرأي المستنصر[1]، غزا ما لم يغزه أحد من الملوك وفتح كثيرا وكان المؤيد معه صورة ودانت له الأندلس...»[2]

الهوامش:

(١) ذكر ابن عذاري المراكشي في البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ٢ / ٢٩٢ قال: «وكان المنصور أشد الناس في التغير على من علم عنده شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد، والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدلتها، والاستخفاف بشيء

من أمور الشريعة، وأحرق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدهرية والفلاسفة، بمحضر كبار العلماء، منهم الأصيلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم، واستولى على حرق جميعها بيده.»

(٢) نقل بنصّه عن الوافي بالوفيات ج ٣ / ٣١٢ .

سنة ٣٩٨ هـ[١]

«فيها كانت فتنة هائلة ببغداد قصد رجل شيخ الشيعة ابن المعلم[٢] وهو الشيخ المفيد وأسمعه ما يكره فثار تلامذته وقاموا واستنفروا الرافضة وآتوا دار قاضي القضاة أبي محمد بن الأكفاني[٣] والشيخ أبي حامد بن الأسفرائيني[٤] فسبوهما وحميت الفتنة ثم أن السنة أخذوا مصحفا قيل انه على قراءة ابن مسعود فيه خلاف كثير فأمر الشيخ أبو حامد والفقهاء بتحريقه فأحضر بمحضر منهم فقام ليلة النصف رافضي وشتم من أحرق المصحف فأخذ وقتل فثارت الشيعة ووقع القتال بينهم وبين السنة واختفى أبو حامد واستظهرت الروافض وصاحوا الحاكم يا منصور فغضب القادر بالله وبعث خيلا لمعاونة السنة فانهزمت الرافضة وأحرقت بعض دورهم وذلوا وأمر عميد الجيوش بإخراج ابن المعلم من بغداد فأخرج وحبس جماعة ومنع القصاص مدة" .

الهوامش:

(١) ذكر هذه الواقعة ابن الجوزي في المنتظم والذهبي في تاريخ الإسلام حوادث سنة ٣٩٧ هـ وابن العماد الحنبلي في كتاب « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ج ٣ /

١٤٩ ونقل هنا بنصه عنه.

(٢) هو أبو عبد الله بن محمد بن النعمان البغدادي الكرخي المشهور بالشيخ المفيد وبابن المعلم عالم الشيعة وإمامهم وصاحب التصانيف الكثيرة توفي سنة ٤١٣ هـ.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الأسدي الأكفاني ولي قضاء العراق سنة ٣٩٦ هـ وتوفي سنة ٤٠٥ .

(٤) هو أحمد ابن أبي طاهر محمد بن احمد الفقيه شيخ العراق وإمام الشافعية ومن إليه انتهت رياسة المذهب الشافعي اشتهر بأبي حامد الأسفرائيني توفي سنة ٤٠٦ هـ.

سنة ٤١٧ هـ

ذكر ابن العماد في وفيات هذا العام « . . .أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي اللغوي الأديب نزل الأندلس وصنف الكتب وروى عن أبي بكر القطيعي وطائفة قال ابن بشكوال كان يتهم بالكذب وقال ابن خلكان: صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي صاحب كتاب الفصوص روى بالمشرق عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي سليمان الخطابي ودخل الأندلس في أيام هشام بن الحكم وولاية المنصور بن عامر في حدود ثمانين وثلاثمائة، وأصله من بلاد الموصل ودخل بغداد وكان عالما باللغة والأدب والأخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه والأفضال عليه وكان مع ذلك محسنا للسؤال حاذقا في استخراج الأموال وجمع كتاب الفصوص نحا فيه منحى القالي في أماليه وأثابه عليه خمسة آلاف دينار وكان يتهم بالكذب في نقله فلهذا رفض الناس كتابه ولما دخل مدينة دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد بن عبد الله العامري أمين البلد وكان في المجلس أديب يقال له بشار وكان أعمى، فقال يا أبا العلاء فقال لبيك فقال ما الجرنفل في كلام

العرب فعرف أبو العلاء أنه وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة فقال له بعد أن أطرق ساعة: هو الذي يفعل بنساء العميان ولا يفعل بغيرهن ولا يكون الجرنفل جرنفلا حتى لا يتعداهن إلى غيرهن فخجل بشار وضحك من كان حاضرا وتوفي صاعد بصقلية ولما ظهر للمنصور كذبه في النقل وعدم تثبته رمى كتاب الفصوص في البحر لأنه قيل له جميع ما فيه لا صحة له فعمل فيه بعض شعراء عصره:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص
وهكذا كل ثقيل يغوص

فلما سمع صاعد هذا البيت أنشد:

عاد إلى عنصره إنما
يخرج من قعر البحور الفصوص

وله أخبار كثيرة في الامتحان انتهى ملخصا.»[1]

الهوامش:

(١) نقل بنصه عن كتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي ج ٣/٢٠٦.

سنة ٤٢٠ هـ

قال بن الجوزي في حوادث هذه السنة[١]:

« وورد إلى الخليفة[٢] كتاب من الأمير يمين الدولة أبي القاسم محمود وكان فيه سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين، فإن كتاب العبد صدر من معسكره بظاهر الري غرة جمادى الآخرة سنة عشرين، وقد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة، وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال في ما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده من غزو أهل الكفر والظلال، وقمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة الباطنية الفجار، وكانت مدينة الري مخصوصة بالتجائهم إليها وإعلانهم /بالدعاء إلى كفرهم فيها يختلطون بالمعتزلة المبتدعة والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة يتجاهرون بشتم الصحابة ويسرون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة، وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي، فعطف العبد عنانه بالعساكر فطلع بجرجان وتوقف بها إلى انصراف الشتاء ثم دلف منها إلى دامغان، ووجه عليا لحاجب في مقدمة العسكر إلى الري، فبرز رستم علي من وجاره على حكم الاستسلام والاضطرار،

فقبض عليه وعلى أعيان الباطنية من قواده.

وطلعت الرايات أثر المقدمة بسواد الري غدوة الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى، وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم، فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم، فاتفقوا على أنهم خارجون على الطاعة وداخلون في أهل الفساد مستمرون على العناد، فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جناياتهم، وإن لم يكونوا من أهل الإلحاد فكيف واعتقادهم في مذاهبهم ولا يعدو ثلاثة أوجه تسود بها الوجوه في القيامة التشيع والرفض والباطن، وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر القوم لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يعرفون شرائط الإسلام، ولا يميزون بين الحلال والحرام، بل يجاهرون بالقذف وشتم الصحابة، ويعتقدون ذلك ديانة، والأمثل يتقلد مذهب الاعتزال، والباطنية منهم لا يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنهم يعدون جميع الملل مخاريق الحكماء، ويعتقدون مذهب الإباحة في الأموال /والفروج والدماء، وحكموا بأن رستم بن علي كان يظهر التستر ويتميز به عن سلفه إلا أن حبالته زيادة على خمسين امرأة من الحرائر ولدن ثلاثة وثلاثين نفسا من الذكور والإناث، وحين رجع إليه في السؤال عن هذه الحال، وعرف أن من يستجير مثل هذا الصنيع مجاوز كل حد في

الأستحلال ذكر أن هذه العدة من النساء أزواجه، وأن أولادهن أولاده، وأن الرسم الجاري لسلفه (في ارتباط الحرائر) كان مستمرا على هذه الجملة، وأنه لم يخالف عاداتهم في ارتكاب هذه الخطة، وأن ناحية من سواد الري قد خصت بقوم من المرذكية يدعون الإسلام بإعلان الشهادة، ثم يجاهرون بترك الصلاة والزكاة والصوم والغسل وأكل الميتة، فقضى الانتصار لدين الله (تعالى) بتمييز هؤلاء الباطنية عنهم، فصلبوا على شارع مدينة طالما تملكوها غصبا واقتسموا أموالها نهبا، وقد كانوا بذلوا أموالا جمة يفتدون بها نفوسهم، فعرفوا أن الغرض نهب نفوسهم دون العرض وحول رستم بن علي (وابنه) وجماعة من الديالمة إلى خراسان، وضم إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس من فتنتهم، ثم نظر فيما اختزنه رستم بن علي من الأثاث فعثر من الجواهر ما يقارب خمسمائة ألف دينار، ومن النقد على مائتين وستين ألف دينار، ومن الذهبيات والفضيات على ما بلغ قيمته ثلاثين ألف دينار، ومن أصناف الثياب على خمسة آلاف وثلاثمائة ثوب، وبلغت قيمة الدسوت من النسيج والخزوانيات عشرين ألف دينار، ووقف /أعيان الديلم على مائتي ألف دينار، وحول من الكتب خمسون حملا ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فإنها أحرقت تحت جذوع المصلّبين، إذ كانت أصول

البدع، فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض، وانتصر السنة فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة.»

الهوامش:

(١) راجع كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم حوادث سنة (٤٢٠ هـ).

(٢) ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة (٤٠٨ هـ) من كتاب المنتظم أن الخليفة العباسي القادر بالله قد استتاب فقهاء المعتزلة الحنفية يقول ابن الجوزي: «أخبرنا سعد الله بن علي البزاز، أخبرنا أبو بكر الطرشيشي، أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبري، قال: وفي سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهاء المعتزلة الحنفية، فأظهروا الرجوع، وتبرّؤوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم، وامتثل يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود أمر أمير المؤمنين، واستن بسننه في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة، وصلبهم وحبسهم ونفاهم وأمر بلعنهم على منابر المسلمين، وإبعاد كل طائفة من أهل البدع وطردهم عن ديارهم، وصار ذلك سنة في الإسلام.»

القرن الخامس

جاء في كتاب نفح الطيب[1] في ترجمته لأبي محمد بن حزم «...وقوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتبه باشبيلية:

«دعونيَ من إحراق رقٍ وكاغدٍ
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

فإن تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس، بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري»

الهوامش:

(١) راجع كتاب «نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب» للمقري التلمساني ج ٢/ ٢٩١.

سنة ٥٣٧ هـ

قال اليافعي[١]: «وفيها توفي صاحب المغرب علي بن يوسف بن تاشفين كان يرجع إلى عدل ودين وتعبد وحسن طوية وشدة إيثار لأهل العلم وتعظيم لهم وهو الذي أمر بإحراق كتب الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي . . . »[٢]

الهوامش:

(١) راجع كتاب «مرآة الجنان وعبرة اليقضان . . . » لأبي محمد بن أسعد اليافعي ج ٣ / ٢٦٨ وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٤ / ١١٥ .

(٢) وقد سار على هذه الخطى ولده تاشفين بن علي حيث أرسل رسالة إلى قاضي بلنسية وفقهائها ووزرائها وعامة سكانها وذلك بعد أن أصبح أميرا للمسلمين جاء فيها: « . . .واعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا، ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدأ، على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن انس رضي الله عنه، فلا عدول لقاضٍ ولا مفت عن مذهبه، ولا يأخذ في تحليل أو تحريم إلا به. ومن حاد عن رأيه بفتواه، ومال من الأئمة إلى سواه، فقد ركب رأسه واتبع هواه، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فإياكم وإياه، وخاصة وفقكم الله كتب أبي حامد الغزالي، فليتتبع أثرها وليقطع بالحرق المتتابع ضرها، ويبحث عنها وتغلظ الأيمان من يتهم بكتمانها . . . »

راجع الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، تأليف محمد ماهر حمادة .

سنة ٥٤٤ هـ

قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في وفيات هذا العام: «وفيها أبو الفضل القاضي عايض بن موسى بن عياض العلامة اليحصبي السبتي المالكي الحافظ أحد الأعلام ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة... ولي قضاء سبتة مدة ثم قضاء غرناطة... ومن مصنفاته الشفاء الذي لم يسبق إلى مثلة ومنها مشارق الأنوار... كان إمام وقته في علوم شتى مفرطا في الذكاء وله شعر حسن... وبالجملة فإنه كان عديم النظير حسنة من حسنات الأيام شديد التعصب للسنة والتمسك بها حتى أمر بإحراق كتب الغزالي لأمر توهمه منها...»[1]

الهوامش:

(١) راجع شذرات الذهب ج ٤/١٣٨.

سنة ٥٥٥ هـ

ذكر ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ[١] في حوادث سنة ٥٥٥ هـ «وقبض على القاضي ابن المرخم وكان بئس الحاكم وأخذ منه مالا كثيرا وأخذت كتبه فأحرق منها في الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة فكان منها كتاب الشفاء لابن سينا[٢] وكتاب إخوان الصفا وما يشاكلهما.»

الهوامش:

(١) الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٥ هـ.

(٢) قال اليافعي في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا في حوادث سنة ٤٢٨ هـ من كتاب **مرآة الجنان** «وذكر شيخ الإسلام أستاذ الأنام في عصره شهاب الدين السهروردي رحمه الله انه غسل كتابه الموسوم بالشفاء بإشارة قداسية نبوية... يعني بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم...»

سنة ٥٧٤ هـ

قال اليافعي[١]: «أخذ ابن قرايا[٢] الرافضي ووجد في بيته سب الصحابة فقطعت يده ولسانه ورجمته العامة فهرب وسبح في الماء فرموه بالآجرّ فغرق فأخرجوه وأحرقوه، ثم ألحق ذلك بالتتبع على الرافضة وأحرقت كتبهم وانقمعوا حتى صاروا إلى ذلة اليهود وتهيأ عليهم من ذلك ما لم يتهيأ ببغداد نحو مائتين وخمسين سنة.»

الهوامش:

(١) راجع كتاب «مرآة الجنان وعبرة اليقضان...» ج ٣/٣٩٨ لليافعي، وشذرات الذهب ج ٤/٢٤٦.

(٢) هو أبو السعادات ابن قرايا وراجع هذه الواقعة في حوادث سنة ٥٧٤ هـ من كتاب المنتظم لابن الجوزي.

سنة ٥٨٣ هـ

قال النويري في ترجمته لأبي يوسف يعقوب بن يوسف أمير الموحدين[1]: «كانت وفاته في سابع عشر ربيع الآخر خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة سلا. وكان قد سار إليها من مراكش، وبنى مدينة مجاورة لها وسماها المهدية، وجاءت من احسن البلاد وأنزهها. فسار ليشاهدها فتوفي بها. وقيل: بل توفي بمراكش بعد انصرافه من سلا، في جمادى الأولى سنة خمسٍ وتسعين. وقيل: بل كانت وفاته في صفر منها.

وكانت ولايته خمس عشرة سنة.

وكان رحمه الله دينا، حسن السيرة، كثير الجهاد، إلا أنه كان يتمذهب بمذهب الظاهرية ولا يكتمه. فعظموا في أيامه وانتشروا في البلاد، ومال إليهم.

وحكى بعض المؤرخين انه كان في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة أظهر الزهد والتقشف وخشونة المأكل والملبس. وانتشرت في أيامه الصالحون وأهل الحديث. وانقطع علم الفروع. وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد منها الحديث والقرآن. فحرق منها جملة في سائر البلاد كالمدونة وكتاب ابن يونس،

ونوادر ابن أبي زيد، ومختصره، والتهذيب للبرادعي، والواضح وأمر بجمع الحديث من المصنفات كالبخاري، ومسلم والترمذي، والموطأ، وسنن أبي داود، والبزاز، وابن أبي شيبة، والدراقطني، والبيهقي، فجمع ذلك كله. فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه. قال: وانتشر هذا المجموع في بلاد المغرب، وحفظه العوام والخواص. وكان يجعل لمن يحفظه الجوائز السنية. وقد قصده أن يمحو مذهب مالك من بلاد المغرب، ويحمل الناس على الظاهر من الكتاب والسنة(٢)".

الهوامش:

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أمير الموحدين في المغرب بويع بعد أبيه كأمير للموحدين سنة ٥٨٠ هـ.

(٢) نقل بنصه عن كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري ج ٢٤ / ٣٢٨ وراجع شذرات الذهب ج ٤ / ٣٢١.

«الرازي»

محمد بن زكريا الرازي الطبيب الفيلسوف أشهر من أن يُعرَّف به.

أخذ الطب عن الحكيم أبي الحسن بن زيد الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة.

«قيل أن سبب عماه، انه صنف للملك منصور (بن نوح أحد ملوك السامانية...) كتابا في الكيمياء فأعجبه ووصله بألف دينار، وقال: أريد أن تخرج من القول إلى الفعل. فقال: إن ذلك يحتاج إلى مؤن وآلات، وعقاقير صحية، وإحكام صنعه، فقال الملك: كل ما تريده أحضره إليك وأمدك به، فلما كع عن مباشرة ذلك وعمله، قال له الملك: ما اعتقدت أن حكيما يرضى بتخليد الكذب في كتب ينسبها إلى الحكمة، يشغل بها قلوب الناس ويسبهم فيما لا فائدة فيه، والألف دينار لك صلة، ولا بد من عقوبتك على تخليد الكذب في الكتب، ثم أمر أن يضرب بالكتاب الذي وضعه على رأسه، إلى أن يتقطع، فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء في عينيه.»

سنة ٦٥٨ هـ

قال المقري في نفح الطيب[1]: «وهو الإمام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي... ولما توفي السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر إلى حضور مجلسه، ثم حصلت له أمور معه كان آخرها إنه تقبض عليه، وبعث إلى داره فرفعت إليه كتبه أجمع وألفى أثناءها فيما زعموا رقعة بابيات أولها:

طغى بتونس خلْفُ
سموه ظلماً خليفهْ

فاستشاط السلطان لها، وأمر بامتحانه، ثم بقتله، فقتل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨ هـ، ثم أحرق شلوه، وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه...»

الهوامش:

(١) راجع كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس والرطيب» للمقري ج ٣/ ٣٤٥.

سنة ٧٠١ هـ

قال ابن حجر العسقلاني في ترجمته لعلي بن الحسن بن عبد الله بن الجابي الخطيب: «... كان مشهورا بحسن تأدية الخطابة فصيح التلاوة وكان قد أغرى بالكيمياء وحصل فيها كتبا كثيرة جدا وكان يزعم أنها صحت معه قال ابن الجزري كان صاحبي وكان يعرف الكيمياء معرفة تامة ولما مات توجّه الشيخ تقي الدين بن تيمية فاشترى منها جملة وغسلها في الحال وقال: هذه الكتب كان الناس يضلون بها وتضيع أموالهم فافتديتهم بما بذلته في ثمنها...»[١]

الهوامش:

(١) ترجمته في كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» ج ٣/ ٣٩ لابن حجر العسقلاني.

سنة ٧١٦ هـ

في هذه ذبح فضل الله بن أبي بن الخير عالي رشيد الدولة فخر الوزراء مشير الدولة الهمذاني الطبيب[١].

كان يهوديا فألم واتصل بغازان محمود وخدمه وكثرت أمواله.

قال الصفدي «كان فيه حلم وتواضع وسخاء وبذل للعلماء والصلحاء، وكان ذا رأي ودهاء ومروءة، وفسر القرآن، وأدخل فيه الفلسفة.»

ثم قال «ويقال أنه كان جيد الإسلامَ رحمه الله تعالى - ولما مات خلف بنينا وبنات، وعمائر فاخرة، وأموالا لا تحصر، وأحرقت تآليفه بعده.»

وحمل رأس الرشيد إلى تبريز، ونودي عليه هذا الرأس اليهودي الذي بدل كلام الله تعالى. ويقال أن السبب في قتله إنه أخطأ في علاج أحد الأمراء الكبار.

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في كتاب «أعيان العصر وأعوان النصر» لصلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي ج ٤ / ٤١.

سنة ٧٤٤ هـ

ذكر زين الدين عمر بن المظفر بن الوردي في كتاب تتمة المختصر من أخبار البشر[1] والذي ذيل به على المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء في حوادث هذا العام فقال: «وفيها مزقنا كتاب فصوص الحكم[2]، بالمدرسة العصرونية بحلب، عقب الدرس، وغسلناه، وهو من تصانيف ابن عربي تنبيها على تحريم قنيته ومطالعته...»[3]

الهوامش:

(١) كما ذكر ابن الوردي هذه الواقعة في تاريخه في نفس العام.

(٢) هو كتاب معروف لابن عربي.

(٣) أفتى مجموعة من العلماء بإتلاف كتب ابن عربي، بل أفتوا بتكفيره، يذكر ابن حجر العسقلاني في أنباء الغمر بأبناء العمر في وفيات سنة ٨٢٣ هـ «تغري بدرمش بن يوسف... التركماني زين الدين الحنفي... ويكثر الحط على ابن عربي وغيره من متصوفي الفلاسفة، وبالغ في ذلك حتى صار يحرق ما يقدر عليه من كتب ابن العربي وربط مرة كتاب الفصوص في ذنب كلب...» وقد ألف برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي كتابا أسماه «تنبيه الغبي بتفكير عمر بن الفارض وابن عربي» جمع فيه فتاوى العلماء الذين أفتوا بتفكير ابن عربي وبإحراق كتبه مثل ابن خلدون والسبكي وغيرهم

جمع، وقد رد السيوطي على البقاعي بكتاب سماه «تنبيه الغبي بتبرئة ابن العربي» وراجع كتاب «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، للسخاوي ستجد الخلاف الشديد حول ابن عربي وكتبه (ج ٣/ ٣١، ١٤٦، ١٧٠، ١٨٦، ٢٢٢، ٢٣٦، ج ٤/ ٢٣، ٦٩، ١٦٥، ٢٠٥، ج ٥/ ٨١، ٩١، ١١١، ١١٤، ١٤٧ و٢٦٩) والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ج ٢/ ١٦٢.

سنة ٧٧٣ هـ

قال الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي في تاريخ قضاة الأندلس[١] «وجرى... بحضرة غرناطة، منتصف عام ٧٧٣ هـ، في كتب ألفيت بها من تواليف محمد بن الخطيب[٢]، فيما يرجع إلى العقائد والأخلاق، فأحرقت بمحضر من الفقهاء والمدرسين من العلماء، وأماثيل الفقهاء، لما تمضّنته الكتب المذكورة من المقالات التي أوجبت ذلك عندهم وحققته لديهم.»[٣]

الهوامش:

(١) راجع ص ٢٠٢ من تاريخ قضاة الأندلس للنباهي.

(٢) هو ذو الوزارتين لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعد بن عبد الله بن الخطيب الغرناطي قتل سنة ٧٧٦ هـ، راجع ترجمته في (الإحاطة في أخبار غرناطة) وهي بقلمه في ج ٤ / ٤٣٨ وفي مقدمة محمد عبد الله عنان لهذا الكتاب.

(٣) وقد أرسل النباهي رسالة لابن الخطيب فيها إشارة إلى عدم رضى العلماء عن كتب ابن الخطيب حيث يقول فيها ج (...وقد قلت لكم غير مرة عن أطراسكم المسودة بما دعوتم إليه من البدعة والتلاعب إن حقها التخريق والتحريق..) نفح الطيب ج ٧ / ١٢٢.

سنة ٨٠٣ هـ

ذكر ابن حجر العسقلاني في كتاب «إنباء الغمر بأبناء العمر»[١] في حوادث هذه العام:

«وفي خامس عشري المحرم قريء على المحدث جمال الدين عبد الله الشرائح[٢] «كتاب الرد على الجهمية» لعثمان الدارمي فحضر عنهم زين الدين عمر الكفيري[٣] فأنكر عليهم وشنع وأخذ نسخة من الكتاب وذهب بها إلى القاضي المالكي[٤] فطلب القارئ وهو إبراهيم الملكاوي[٥] فأغلظ له ثم طلب ابن الشرائحي فآذاه بالقول وأمر به إلى السجن وقطع نسخة ابن الشرائحي ثم طلب القاري ثانيا فتغيب ثم أحضره فسأله عن عقيدته فقال: الإيمان بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانزعج القاضي لذلك وأمر بتعزيره فعزر وضرب وطيف به ثم طلبه بعد جمعة وكان بلغه عنه كلام أغضبه فضربه ثانيا ونادى عليه وحكم بسجنه شهرا.»

الهوامش:

(١) ج ٤ / ٢٢٢.

(٢) هو عبد الله بن إبراهيم بن خليل أبو محمد جمال الدين الشافعي الدمشقي. راجع ترجمته في الضوء اللامع ج ٥ / ٢.

(٣) هو عمر بن عبد الله بن عمر وين الدين الكفيري الدمشقي الشافعي. الضوء اللامع ج ٤ / ٩٧.

(٤) هو ابراهيم بن محمد بن علي برهان الدين أبو سالم التادلي قاضي المالكية بدمشق. الضوء اللامع ج ١ / ١٥٥.

(٥) هو ابراهيم بن محمد بن راشد برهان الدين الملكاوي الدمشقي الشافعي. الضوء اللامع ج ١ / ١٤٦.

سنة ٩١٣ هـ

جاء في كتاب «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» في ترجمة ابن عراق هو محمد ابن علي ابن عبد الرحمن الشيخ الإمام الزاهد أبو علي شمس الدين ابن عراق الدمشقي نزيل المدينة المنورة.

تتلمذ على الشيخ العارف علي بن ميمون ولد سنة ٨٧٨ هـ. وقرأ القرآن بالتجويد على الشيخ عمر الداراني وغيره وطلب العلم وسلك طريق التصوف والزهد، يقول الغزي[١]: «...وألف سيدي محمد في تلك المدة أربعة وعشرين كتابا في طريق القوم[٢] فلما بلغ شيخه ذلك انقبض انقباضا وتطور عليه وعزم بسبب ذلك على السفر من حماه إلى دمشق وكتب إلى بيروت لسيدي محمد أن يلقاه بالكتب إلى دمشق فسافر سيدي محمد إلى دسشق ونزل عند والدته وأقام عندها أياما حتى قدم شيخه سيدي علي بن ميمون في رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة (٩١٣ هـ) ... فسار إليه سيدي محمد وتلقاه بالسلام والإكرام، غير أنه استدعاه في ذلك المجلس وقال له يا خائن يا كذاب عن من أخذت هذا القيل والقال؟ فقال له سيدي محمد: يا سيدي فداك نفسي قد أتيناك

بالموبقات فافعل فيها ما تشاء فغسلها سيدي علي ولم يبق منها سوى القواعد والتأديب.»[3]

وقد توفي ابن عراق سنة ٩٣٣ هـ في مكة المكرمة.

الهوامش:

(١) هو نجم الدين الغزي صاحب كتاب «الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة» راجع ج١/ ٥٩ من الكتاب المذكور.

(٢) الصوفية.

(٣) من قواعد الصوفية أن لا يقوم المريد باي فعل من أفعال طريق القوم إلا بعد أن ياذن له شيخه حتى أن بعضهم يستاذن شيخه في الحج وابن عراق قد ألف هذه الكتب من غير أن يأخذ الإذن في تاليفها عن شيخه ولذا وجب تاديبه بإتلافها.

العلماء الذين أتلفوا كتبهم



أبو ذر الحافظ ت ٨٨٤ هـ

هو أحمد بن إبراهيم بن محمود بن خليل الشيخ موفق الدين أبو ذر الحافظ الطرابلسي الأصل ثم الحلبي المولد والدار الشافعي ولد في ليلة الجمعة تاسع صفر سنة ثماني عشرة وثمانمائة بحلب ونشأ بها فحفظ القرآن وجوده وحفظ مجموعة من متون الفقه والحديث والنحو وأجازه مجموعة من علماء عصره.. يقول السخاوي: « ... وتعانى في ابتدائه فنون الأدب فبرع فيها وجمع فيها تصانيف نظما ونثرا ثم أذهبها حسبما أخبرني به عن آخرها، ومن ذلك عروس الأفراح فيما يقال في الراح، وعقد الدرر والآل فيما يقال في السلسال، وستر الحال فيما قيل في الخال، والهلال المستنير في العذار المستدير، والبدر إذا استنار فيما قيل في العذار. »[1]

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في الضوء اللامع ج ١/١٩٨.

ابن أبي السعود ت ٨٧٠ هـ

هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن سعيد بن علي الشهاب أبو العباس بن الشيخ أبي السعود المنوفي ثم القاهري الشافعي السعودي نزيل القاهرة ولد في شوال سنة ٨١٤ هـ في منوف العليا.[1]

حفظ القرآن صغيرا واكب على طلب العلم مبكرا فحفظ المتون وأخذ عن علماء عصره وتقدم معاصريه في الفرائض والحساب وتعانى الأدب فبرع فيه وساد وطارح الشعراء وقال الشعر الجيد والنثر البديع المفرد واشتهر اسمه وبعد صيته في ذلك.

قال السخاوي: « . . .وأعرض بآخرة عن تعاطي الشعر بل غسل جميع ما كان عنده من نظم ونثر بحيث لم يتأخر منه إلا ما كان برز قبل، ويقال إن ذلك لم يكن عن قصد وإنما إتفق أنه جمع أوارق نظمه ثم أفرد منها ما لا يرتضيه ليغسله ففاجاه بعض أصحابه فقام لتلقيه، وأمر بعض من كان عنده بغسل الأوراق التي عن يمين مجلسه فاشتبه الأمر عليه بحيث غسل ما كان يجب بقاؤه فلما عاد سقط في يده وغسل الباقي، وأكثر حينئذ من النظر في الفقه والمداومة على الاشتغال به. . . »

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في كتاب «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، ج ١ / ٢٣١ .

ابن أبي الحواري الزاهد ت ٢٤٦ هـ[1]

هو أحمد بن عبد الله بن ميمون أبو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي شيخ أهل الشام، ولد سنة ١٦٤ هـ وسمع من سفيان بن عيينه، وعبد الله بن إدريس والوليد بن مسلم وعبد الله بن وهب وأبي الحسن الكسائي. ودخل الشام فصحب الشيخ أبا سليمان الداراني مده وأخذ عن مروان بن محمد وأبي مسهر وطائفة ثم أقبل على العبادة والتأله. وحدث عنه: سلمة بن شبيب، وأبو زرعة الدمشقي، وأبو زرعة الرازي وأبو داود وابن ماجة في سننهما وأبو حاتم، وسعيد بن عبد العزيز الحلبي ومحمد بن المعافى الصيداوي ومحمد بن محمد الباغندي، وعمر بن بحر الأسدي.

«قال أبو عبد الرحمن السلمي في تاريخ الصوفية: سمعت محمد بن جعفر بن مطر، سمعت إبراهيم بن يوسف الهستجاني يقول: رمى أحمد بن أبي الحواري بكتبه في البحر، وقال: نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال.»

«وقال السلمي: سمعت محمد بن عبد الله الطبري يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: طلب أحمد بن أبي الحواري العلم ثلاثين سنة، ثم حمل كتبه كلها إلى البحر فغرّقها، وقال: يا

علم لم أفعل بك هذا استخفافا، ولكن لما اهتديت بك استغنيت عنك. »

الهوامش:

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٢ / ٨٥.

أبو السرور المزجد[1] ت سنة ٩٣٠ هـ

هو صفي الدين أبو السرور القاضي أحمد بن عمر بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن شهاب الدين المزجد الشافعي الزبيدي.
ولد رحمه الله سنة ٨٤٧ هـ في إحدى قرى زبيد ونشأ بها وأتم قراءة مجموعة من متون الفقه واللغة في قريته ثم إرتحل إلى زبيد واشتغل فيها بالفقه وأُصوله والحديث وعلومه والحساب والفرائض وبرع في علوم كثيرة وتميز بفقه الإمام الشافعي وصنف.

قال حفيده شيخ الإسلام قاضي قضاة الأنام أبو الفتح بن حسين المزجد رحمه الله: «كان جدي رحمه الله تعالى شرح جامع المختصرات للنسائي في ستة مجلدات، ثم لما رآه لم يستوف ما حواه الجامع المذكور من الجمع والخلاف ألقاه في الماء فأعدمه والله المستعان.»

توفي الشيخ المزجد سنة ٩٣٠ هـ.

الهوامش:

(١) تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ١٢٧ تأليف عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي.

النامي الدارمي

هو أحمد بن محمد أبو العباس النامي الدارمي المصيصي قال الثعالبي في اليتيمة: «شاعر من فحولة شعراء العصر وخواص شعراء سيف الدولة، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة.»[١]

وقال ابن العديم: «...شاعر مجيد من شعراء سيف الدولة... وكان فاضلا أديبا عارفا بالأدب واللغة وقفت له على أمالي أملاها بحلب روى فيها عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وابن دستورية، وأبي عبد الله الكرماني، وأبي بكر الصولي وإبراهيم بن عبد الرحيم العروضي...

وروى عنه: أبو القاسم الحسين بن علي بن أبي أسامة الحلبي، وأبو الفرج الببغاء، وأبو الخطاب بن عون الحريري، وأبو بكر الخالدي، والقاضي أبو طاهر بن جعفر الهاشمي الحلبي...»[٢]

قال ابن العديم: «قرأت في كتاب «أدب الخواص» تأليف الوزير أبي القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن المغربي قال: وأنشدنا يوماً يعني سيف الدولة... - في مجلسه القافية التي أولها:

(إن الخليط أجد البين فانفرقا)...

يعني من شعر زهير بن أبي سلمى، فأبدى، استحسانا لها، فقال له النامي المصيصي أبو العباس احمد بن محمد الدرامي: أراك كلفا بها، أفتحب أن أمدحك بخير منها؟ قال: نعم أشد الحب، فلما كان بعد أيام لقيه راكبا على نهر حلب المسمى قويق، قال: فترجل ووقف عليه سيف الدولة، وأخذ ينشد قصيدة في غاية الحسن أولها:

ما أنت مني ولا الطيف الذي طرقا

رد الكرى واسترد مني الأرقا

فأراد سيف الدولة كياده والعبث به، فأعرض عنه وأظهر استنقاصا لشعره، فقطع الإنشاد في وسط القصيدة، وركب ومضى وسيف الدولة يراه - إلى الشاطىء فخرقها وغسلها فاحتمله سيف الدولة، ولم ينكر ما كان منه، ودرست آثار هذه القصيدة فليس توجد في ديوانه.»[٣]

توفي النامي في حلب سنة ٣٧٠ هـ.

الهوامش:

(١) يتيمة الدهر في محاسن العصر ج ١/ ٢٢٥ للثعالبي تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ج ٣/ ١٠٨٣ لابن العديم تحقيق الدكتور سهيل زكار.

(٣) المرجع السابق ج ٣/١٠٨٧.

ابن أبي حجلة ت ٧٧٦هـ

هو أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني نزيل القاهرة بعد دمشق المعروف بابن أبي حجلة[١] وصفه السخاوي بقوله: «صاحب التآليف السائرة في الأدب ومتعلقاته بل عمل المقامات...»

ثم قال السخاوي: «...وكتابا عارض فيه قصائد ابن الفارض، وكان يحط عليه لكونه لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم صريحا ويحط على نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم بحيث امتحن بسبب ذلك على يد السراج الهندي[٢] قاضي الحنفية مع كونه كان يزعم أنه حنفي، وأنه حنبلي المعتقد، ولكنه لم يكن حجة فيما يدعيه، وأمر عند موته أن يوضع، مصنفه المشار إليه في نعشه، بل يدفن في قبره. وفعلا به.»

الهوامش:

(١) راجع كتاب «وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام» ج ١ / ٢١٠ للسخاوي، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج ١ / ٣٢٩.

(٢) هو السراج عمر بن اسحاق بن أحمد الغزنوي قاضي الحنفية بالديار المصرية توفي سنة ٧٧٣ هـ راجع ترجمته في وجيز الكلام ج ١ / ١٨٧.

الحافي ت ٢٢٧ هـ

هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المرزوي، ثم البغدادي المشهور بالحافي.[1]

ولد سنة ١٥٢ هـ وارتحل في طلب العلم فسمع من مالك بن أنس، وشريك وحماد بن زيد، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، وجمع. وروى عنه جمع من علماء الحديث.

قال الخطيب البغدادي: «كان كثير الحديث، إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها ودفن كتبه لأجل ذلك.»

قال أحمد بن بشير المرثدي: حدثنا إبراهيم بن هاشم، قال: «دفنا لبشر بن الحارث ثمانية عشر ما بين قِمْطَرٍ[2] إلى قوصرة[3] يعني من الحديث.»

وقد تمذهب بشر بمذهب سفيان الثوري.

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في/ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧/ ٣٤٢، وحلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ج ٨/ ٣٣٦، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٧/ ٦٧، وسير أعلام

النبلاء للذهبي ج ١٠ / ٤٦٩ .

(٢) جاء في تاج العروس مادة (ق م ط ر) القمطر: «ما يصان فيه الكتب وهو شبه سَفَط يُسَفُّ من قصب...»

(٣) جاء في تاج العروس مادة (ق ص ر) «القوصرة بالتشديد وتخفيف: وعاء للتمر من قصب وقيل: من البواري»

حماد ابن أسامة[1]

هو حماد بن أسامة بن زيد القرشي مولاهم أبو أسامة الكوفي. روى الحديث عن هشام بن عروة، ويزيد بن عبد الله بن أبي بردة وإسماعيل بن أبي خالد والأعمشى والثوري وشعبة وجمع، وروى عنه الحديث الشافعي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه وإبراهيم الجوهري وجمع من المحدثين وأخرج حديثه الجماعة.

كان أعلم الناس بأخبار أهل الكوفة قال عبد الله بن عمر بن أبان سمعت أبا أسامة يقول: كتبت بأصبعي هاتين مائة ألف حديث. وقال الأجري عن أبي داود قال وكيع: «نهيت أبا أسامة أن يستعير الكتب وكان دفن كتبه.»

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ج ٣/٢.

داود الطائي ت ١٦٢ هـ[1]

هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي أحد الزهاد الكبار.

روى الحديث عن جمع من العلماء منهم عبد الملك بن عمير، وحميد الطويل، وهشام بن عروة، وسليمان الأعمشى.

وحدث عنه: زفر بن سليمان، ومصعب بن المقدام واسحاق بن منصور السلولي، وجماعة.

قال الذهبي: «كان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة، ثم أقبل على شأنه، ولزم الصمت؟ وآثر الخمول، وفر بدينه.»

وجاء في تاريخ بغداد «... سمعت ابن عيينة يقول: كان داود الطائي ممن علم وفقه قال: وكان يختلف إلى أبي حنيفة حتى نفذ في ذلك الكلام، قال فأخذ حصاة فحذف بها إنساناً.. فقال له: يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك قال: فاختلف بعد ذلك سنة لا يسأل ولا يجيب، فلما علم أنه يصبر عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات، ثم أقبل على العبادة ونخلى...»

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في حلية الأولياء ج ٧ / ٣٣٥ وتاريخ بغداد ج ٨ / ٣٤٧ وسير أعلام النبلاء ج ٧ / ٤٢٢.

سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ)[١]

هو الإمام الحبر سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد ويقال أبو عبد الله الكوفي. روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمرو وعدي بن حاتم وأبي مسعود الأنصاري وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري وجمع من الصحابة.

وروى عنه جمع من حَمَلَة الحديث وأخرج حديثه أصحاب الكتب الستة قال الطبري: هو ثقة إمام حجة على المسلمين.

وقال ابن حبان في الثقات: كان فقيها عابدا فاضلا ورعا وكان يكتب لعبد الله بن عتبة بن مسعود حيث كان على قضاء الكوفة ثم كتب لأبي بدرة بن أبي موسى ثم خرج مع ابن الأشعث في جملة القراء فلما هزم ابن الأشعث هرب سعيد بن جبير إلى مكة فأخذه خالد القسري بعد مدة وبعث به إلى الحجاج فقتله الحجاج سنة (٩٥ هـ) وهو ابن (٤٩) سنة ثم مات الحجاج بعده بأيام.

روى أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري القاضي المالكي في «كتاب المجالسة»[٢] قال: «إن امرأة سعدية قالت: سمعت سعيد

بن جبير حين جيء به إلى الحجاج دعا رجلا، فقال: اذهب، فأحرق كتبي.»

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ج ٤/ ١١.

(٢) كتاب المجالسة ج ٧/ ١٣٦.

الثوري[1]

هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري قال الذهبي: «هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنّف كتاب الجامع.»

ولد الثوري سنة ٩٧ هـ واعتنى به والده سعيد بن مسروق الثوري المحدث الثقة فطلب العلم مبكرا حيث روى عن والده المعدود في صغار التابعين وجمع من المحدثين قيل أن عددهم ٦٠٠ شيخ أما من تلقى عنه العلم وتتلمذ عليه فجمع لا حصر لهم حتى بالغ ابن الجوزي فذكر انهم عشرين ألفا ورد عليه الذهبي هذا العدد. وهو ممن اتلف كتبه... يقول الأصمعي: «إن الثوري أوصى أن تدفن كتبه، وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم.»

وعن أبي سعيد الأشج قال: سمعت أبا عبد الرحمن الحارثي يقول: «دفن سفيان كتبه فكنت أعينه عليها فدفن منها كذا وكذا قمطرة[2] إلى صدري، فقلت: يا أبا عبد الله! (وفي الركاز الخمس) فقال خذ ما شئت. فعزلت منها شيئا، كان يحدثني منه.» توفي سفيان سنة ١٦١ هـ على أرجح الأقوال.

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في سير إعلام النبلاء ج ٧ / ٢٢٩ وفي حاشية السير جرد لمراجع ترجمته فلتراجع.

(٢) القمطرة وعاء تصان به الكتب جاء في اللسان مادة «ق م ط ر» «القَمطْرُ والقِمطَرَةُ: ما تصان فيه الكتب... والجمع قماطر.»

شجاع بن فارس[1]

هو شجاع ابن فارس بن حسين بن فارس بن حسين بن غريب بن بشير أبو غالب الذهلي السهروردي ثم البغدادي الحريمي الناسخ.

قال ابن النجار البغدادي: «طلب الحديث بنفسه، وكان مفيد أهل بغداد والمرجوع إليه في معرفة الشيوخ وأحوالهم بعد الخطيب.. وكان ثقة ثبتا، صدوقا فاضلا، أديبا، جميل السيرة مرضي الطريقة أفنى عمره في هذه الصناعة.»

وقال الذهبي: «الإمام المحدث الثقة الحافظ المفيد.»

قال ابن النجار البغدادي: «...ذيل على تاريخ الخطيب ثم غسله قبل موته.»

قال أبو طاهر السلفي: «أبو غالب شجاع الذهلي كان من حفاظ بغداد المذكورين وكنت أسمع أبا علي البرداني الحافظ يثني عليه، إذا جرى ذكره. وكان له أدب وشعر، وقد علقت عنه كثير من الفوائد الأدبية.»

ولد شجاع الذهلي في سنة ٤٣٠ هـ وتوفي سنة ٥٠٧ هـ.

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في كتاب «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» صـ ٢٤٩ وسير اعلام النبلاء للذهبي ج ٩/ ٣٥٥ والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج ١٢/ ١٧٦.

شيخ المحدثين شعبة[١]

هو شعبة بن الحجاج بن الورد الإمام الحافظ أبو بسطام الأزدي العتكي مولاهم الواسطي عالم أهل البصرة وشيخها.

أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة وحدث عن جماعة منهم أنسي بن سيرين، وإسماعيل بن رجاء، وسلمه بن كهيل، وجامع بن شداد، وسعيد بن أبي سعيد، وجبلة بن سحيم، والحكم بن عتيبة، وغيرهم جمع.

وحدث عنه: أيوب السختياني، وسعيد الجريري، ومنصور بن المعتمر، ومطر الوراق، وسفيان الثوري، وإبراهيم بن طهمان، وعلي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ومعتمز بن سليمان، وأبو عبيدة معمر بن المثنى وجمع.

«وقال سعد بن شعبة: أوصى أبي: إذا مات أن أغسل كتبه فغسلتها.»[٢]

الهوامش:

(١) سير إعلام النبلاء ج ٧/٢٠٢.

(٢) قال الذهبي في سير النبلاد ج ٧/٢١٣ قلت: وهذا فعله غير واحد: بالغسل، وبالحرق وبالدفن، خوفا من أن تقع في يد إنسان واه يزيد فيها أو يغيرها.»

الكرخي

هو أبو الحسين عاصم بن الحسن العاصمي الكرخي[1] قال اليافعي: « . . .الشاعر المشهور كان ظريفا صاحب ملح ونوادر مع الصلاح والعفة والصدق مرض في أواخر عمره فغسل ديوان شعره . »

توفي سنة ٤٨٣ هـ.

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في كتاب (مرآة الجنان) تاليف أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي المكي ج ٣/ ١٣٤ وشذرات الذهب ج ٣/ ٣٦٨.

الدراني ت ٢٠٥ هـ

هو الإمام الزاهد أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد العنسي الداراني[1] ولد في حدود سنة ١٤٠ هـ.

روى عن جمع من العلماء منهم: سفيان الثوري وعبد الواحد بن زيد البصري وعلقمة بن سويد وغيرهم.

وروى عنه: تلميذه أحمد بن أبي الحواري وهاشم بن خالد وحميد بن هشام العنسي وجمع له أخبار وأقوال في الزهد السني ذكر أبو حيان التوحيدي انه أحرق كتبه حيث قال: «وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك.»[2]

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في حلية الأولياء ج ٩ / ٢٥٤ وتاريخ بغداد ج ١٠ /٢٤٨ وللاستزادة راجع حاشية سير اعلام النبلاء ج ١٠ / ١٨٢.

(٢) راجع ترجمته في كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» لمحبي ج ٣/ ٨٥.

الكردي البغدادي

(ت سنة ١٠٠٣ هـ تقريبا)[١]

هو عبد الله الكردي البغدادي ثم الدمشقي قال المحبي: «اشتغل بالعلوم أولا وفاق أقرانه ثم غلب عليه الحال، ورمى كتبه في الماء وسلك الطريقة ونال الرتبة العلية ونزل دمشق وسكن بالكلاسية ويقال أنه كان من الأبدال السبعة، وله كرامات شهيرة...»

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القدن الحادي عشر» للمحبي ج ٨٥/٣.

أبو عمرو الكوفي[1]

هو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي مخضرم أسلم في حياة الرسول ولم يلقه روى عن مجموعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله ابن الزبير، وروى عنه جمع مثل محمد بن سيرين، وإبراهيم النخعي، وعامر الشعبي، وغيرهم وأخرج حديثه أصحاب الكتب الستة.

توفي قبل سنة ٦٧ هجرية.

ذكر ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله[2] قال:
«عن عبيدة:

إنه دعا بكتبه عند الموت فمحاها فقيل له في ذلك. فقال: أخشى أن يليها قوم يضعونها غير موضعها.»

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ج ٧ / ٨٤.

(٢) جامع بيان العلم وفضله تأليف أبي عمر يوسف بن عبد البر ج ١ / ٢٨٦، كان هذا العالم لا يرى كتابة العلم مطلقا ومن المتشددين في ذلك، راجع المصدر السابق ج ١ / ٢٨٤، ٢٨٥.

عروة ابن الزبير

هو عروة ابن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدني أحد كبار التابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة.

روى عن جمع من الصحابة منهم أبيه الزبير بن العوام، وأخيه عبد الله بن الزبير، وأمه أسماء بنت ابي بكر الصديق، وخالته عائشة، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأسامة بن زيد، وأبي هريرة، وجمع.

وروى عنه: أولاده عبد الله وعثمان وهشام، ومحمد، ويحيى وجمع يطول ذكرهم.

اختلف في تاريخ وفاته والأكثر على أنه توفي سنة ٩٤ هـ وهو ابن ٦٧ سنة.

قال ابن أبي الزناد قال عروة: «كنا نقول لا نتخذ كتابا مع كتاب الله فمحوت كتبي فَوَ الله لوددت أن كتبي عندي...»

وقال هشام بن عروة: «إن أباه كان حرق كتبا فيها فقه ثم قال: لوددت أني كنت فديتها بأهلي ومالي.»

وفي رواية عن هشام بن عروة عن أبيه «أنه أحرقت كتبه يوم

الحرَّة وكان يقول: وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي.»[1]

الهوامش:

(١) راجع تهذيب التهذيب ج ٧ / ١٨٠، وجامع بيان العلم وفضله ج ٢ / ٣٢٦.

عطاء الخفاف

هو عطاء بن مسلم الخفاف أبو مخلد الكوفي نزيل حلب محدث روى عن الأعمش وجعفر بن برقان ومحمد بن سوقه والثوري وغيرهم وروى عنه الحديث محمد بن المبارك الصوري وعبد الله بن المبارك وموسى بن أيوب النصيبي وغيرهم، قال أبو زرعة: «كان من أهل الكوفة دفن كتبه ثم روى من حفظة فوهم وكان رجلا صالحا.»

وقال أبو حاتم: «كان شيخا صالحا وكان دفن كتبه فلا يثبت حديثه وليس بقوي.»[١]

الهوامش:

(١) تهذيب التهذيب ج ٧/ ٢١١.

ابن كردان النحوي ت٤٢٤

هو أبو القاسم علي بن طلحة بن كردان النحوي[١]

صحب أبا علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وقرأ عليهما كتاب سيبويه.

«قال السلفي الحافظ: سألت خميس بن علي الحوزي عن ابن كردان فقال: ...الواسطيون يفضلونه على ابن جني والربعي، صنف كتابا كبيرا في إعراب القرآن، قال لي شيخنا أبو الفتح: كان يقارب خمسة عشر مجلدا، ثم بدا له فيه فغسله قبل موته...»

الهوامش:

(١) ترجم له القفطي في انباه الرواة على انباه النحاة ج ٢ / ٢٨٤ وياقوت الحموي ج ١٣ / ٢٥٩ والصفدي في الوافي بالوفيات ج ٢١ / ١٥٥ والسيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج ٢ / ١٧٠.

الربعي[1]

هو علي بن عيسى بن الفرج صالح الربعي الزهيري أبو الحسن النحوي.

قال ياقوت الحموي «أحد أئمة النحويين وحذاقهم، الجيدي النظر الدقيقي الفهم والقياس.»

أخذ الربعي العلم عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي حيث لازمه في شيراز لمدة عشرين سنة وفارقه بعد أن قال له الفارسي: «ما بقي شيء تحتاج إليه، ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو.» فعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي سنة عشرين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة.

قال ياقوت: «صنف تصانيف منها: كتاب شرح الإيضاح لأبي علي، كتاب شرح مختصر الجرمي، كتاب البديع في النحو... كتاب شر سيبويه، إلا أنه غسله وذاك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه مسألة فقام مغضبا وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجانة وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة.»

الهوامش :

(١) راجع ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ج ١٣ / ٧٨ وانباه الرواة على انباه النحاة.. للقفطي ج ٢ / ٢٩٧ والوافي بالوفيات للصفدي ج ٢١ / ٣٧٤ وبغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة ج ٢ / ١٨١ .

التوحيدي

هو علي بن محمد بن عباس أبو حيان التوحيدي.

قال ياقوت: «...شيرازي الأصل وقيل نيسابوري... صوفي السمت والهيئة وكان يتأله والناس على ثقة من دينه... وكان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ومحقق الكلام ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء وعمدة لبني ساسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شأنه، والثلب دكانه وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية وكان مع ذلك محدودا محارفا يتشكى صرف زمانه ويبكي في تصانيفه على حرمانه.

هذا ما قاله ياقوت وهو خير من وصفه، وما يهمنا هنا في ترجمته هي حادثة إحراقه لكتبه والتي جاءت في رسالة أرسلها إلى القاضي أبو سهل علي بن محمد يقول ياقوت الحموي: «وكتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه، ويعرفه

قبح ما اعتمد من الفعل وشنيعه. فكتب إليه أبو حيان يعتذر من ذلك: حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك، وأعاذني من مكافأتك على ذلك، وأجارنا جميعا مما يسود وجه عهد إن رعيناه كنا مستأنسين به، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله، وأدام الله نعمته عندك، وجعلني على الحالات كلها فداك.

وافاني كتابك غير محتسب ولا متوقع على ظمأ برح بي إليه، وشكرت الله تعالى على النعمة به علي، وسألته المزيد من أمثاله، الذي وصفت فيه بعد ذكر الشوق إلي، والصبابة نحو ما نال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذي نمى إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفسية بالنار وغسلها بالماء، فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك، كأنك لم تقرأ قوله جل وعز: «كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون.» وكأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشيء من الدنيا وإن كان شريف الجوهر كريم العنصر، ما دام مقلبا بيد الليل والنهار، معروضا على أحداث الدهر وتعاود الأيام، ثم إني أقول: إن كان َأيدك الله َ قد نقب خُفَّك ما سمعت، فقد أدمى أظلي[1] ما فعلت، فليهن عليك ذلك، فما انبريت له ولا اجترأت عليه حتى استخرت الله عز وجل فيه أياما وليالي وحتى أوحي إليَّ في المنام بما بعث راقد العزم، وأجد فاتر النيَّة، وأحيا ميت الرأي، وحث على تنفيذ ما وقع في الرَّوع وتريَّع[2] في

الخاطر، وأنا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبت، أو بالعذر إن استوضحت، لتثق بي فيما كان مني، وتعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي: إن العلمَ حاطك الله - يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرا عن العلم، كان العلم كَلاّ على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كَلاّ وأورث ذُلاّ، وصار في رقبة صاحبه غُلاّ، - وهذا ضرب من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار -. ثم اعلم علّمك الله الخير أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا، وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبا، على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله، - ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطه بناصيتي، وربطه بأمري -، وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حجة علي لا لي، ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه، أني فقدت ولدا نجيبا، وصاحبا قريبا، وتابعا أديبا، ورئيسا منيبا، فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشمتون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها، ويتراؤون نقصي وعيبي من أجلها، فإن قلت ولم تسمهم بسوء الظن، وتقرع جماعتهم بهذا العيب؟ فجوابي لك أن عياني منهم في الحياة هو الذي يحقق ظني بهم بعد الممات، وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح

لي من أحدهم وداد؟ ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم، ويطرح في قلب صاحبه الألم، وأحوال الزمان بادية لعينيك، بارزة بين مسائك وصباحك، وليس ما قلته بخاف عليك مع معرفتك وفطنتك، وشدة تتبعك وتفرغك، وما كان يجب أن ترتاب في صواب ما فعلته وأتيته بما قدمته ووصفته، وبما أمسكت عنه وطويته إما هربا من التطويل، وإما خوفا من القال والقيل. وبعد فقد أصبحت هامة اليوم أو غد فإني في عشر التسعين، وهل لي بعد الكبرة والعجز أمل في حياة لذيذة؟ أو رجاء لحال جديدة، ألست من زمرة من قال القائل فيهم:

نروح ونغدو كل يوم وليلة
وعما قليل لا نروح ولا نغدو

وكما قال الآخر:

تفوقت درّات الصبا في ظلالة
إلى أن أتاني بالفطام مشيب

وهذا البيت للورد الجعدي[٣] وتمامه يضيق عنه هذا المكان والله يا سيدي لو لم أتعظ إلا بمن فقدته من الإخوان والأخدان في

هذا الصقع من الغرباء والأدباء والأحباء لكفى، فكيف بمن كانت العين تقربهم، والنفس تستنير بقربهم، ففقدْتُهُمْ بالعراق والحجاز والجبل والري، وما والى هذه المواضع، وتواتر إليَّ نعيهم، واستدَّت الواعية[٤] بهم، فهل أنا إلا من عنصرهم؟ وهل لي محيد عن مصيرهم؟ أسأل الله تعالى رب الأولين أن يجعل اعترافي بما اعرفه موصولا بنزوعي عما أقترفه، إنه قريب مجيب.

وبعد، فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمَّة يقتدى بهم، ويؤخذ بهديهم، ويعشى إلى نارهم، منهم: أبو عمرو بن العلاء[٥]، وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثرٌ.[٦]

وهذا داودُ الطائيّ[٧] وكان من خيار عباد الله زهدا وفقها وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر[٨] وقال يناجيها: نعم الدَّليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخمول.

وهذا يوسف بن أسباطٍ[٩]: حمل كتبه إلى غارٍ[١٠] في جبلٍ وطرحه فيه وسد به بابه، فلما عوتب على ذلك قال: دلنا العلم في الأول ثم كاد يضلنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه، وكرهناه من أجل ما أردناه.

وهذا أبو سليمان الداراني ٌ[١١] جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك.

وهذا سفيان الثوري[١٣] مزق ألف جزء وطيرها في الريح وقال: ليت يدي قطعت من ها هنا بل من ها هنا ولم أكتب حرفا.[١٤]

وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي(؟) سيد العلماء قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فأجعلها طُعمةً للنار. وماذا أقول وسامعي يصدق أن زمانا أحوج مثلي إلى ما بلغك، لزمان تدمع له العين حزنا وأسى، ويتقطع عليه القلب غيظًا وجوىً وضنىً وشجىً، وما يصنع بما كان وحدث وبان، إن احتجت إلى العلم في خاصة نفسي فقليل، والله تعالى شاف كاف، وإن احتجت إليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ القرطاس بعد القرطاس، إلى أن تفنى الأنفاس بعد الأنفاس، «ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن اكثر الناس لا يعلمون.» فلم تفنى عيني أيّدك الله بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة[١٥] والتصحيح بالسواد والبياض[١٦]، وهل أدرك السلف الصالح في الدين الدرجات العلى إلا بالعمل الصالح، وإخلاص المعتقد والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا وخدع بالزبرج، وهوى بصاحبه إلى الهبوط؟ وهل وصل الحكماء القدماء إلى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد في السعي، وإلا بالرضا بالميسور، وإلا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم؟ فأين يذهب بنا وعلى أي باب نحط رحالنا؟ وهل جامع الكتب إلا كجامع الفضة والذهب؟ وها المنهوم بها إلا كالحريص

الجشع عليهما؟ وهل المغرم بحبها إلا كمكاثرهما؟ هيهات، الرحيل والله قريب، والنواءُ قليل، والمضجع مقضٌّ والمقام ممضٌّ، والطريق مخوف والمعين ضعيف، والاغترار غالب، والله من وراء هذا كله طالب، نسأل الله تعالى رحمة يظلنا جناحها، ويسهل علينا في هذه العاجلة غدوها وروحها، فالويل كل الويل لمن بَعُد عن رحمته بعد أن حصل تحت قدره، فهذا هذا، ثم أني أيدك الله ما أردت أن أجيبك عن كتابك لطول جفائك، وشدة التوائك عمن لم يزل على رأيك مجتهدا وفي محبتك على قربك ونأيك، مع ما أجده من انعكاس النشاط وانطواء الانبساط لتعاود العلل عليَّ وتخاذل الأعضاء مني، فقد كل البصر وانعقد اللسان وجمد الخاطر وذهب البيان، وملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس، ولكني حرست منك ما أضعته مني، ووفيت لك بما لم تف به لي، ويعز علي أن يكون لي الفضل عليك، أو أحرز المزية دونك، وما حداني على مكاتبتك إلا ما أتمثله من تشوقك إليَّ وتحرُّقك عليَّ، وأن الحديث الذي بلغك قد بدد فكرك، وأعظم تعجبك، وحشد عليكم جزعك، والأول يقول:

وقد يجزع المرء الجليد ويبتلي
عزيمة رأي المرء نائبة الدَّهر
تعوده الأيام فيما ينوبه
فيقوى على أمر ويضعف عن أمر

على أني لو علمت في أي حال غلب عليّ ما فعلته، وعند أي مرض وعلى أية عسرة وفاقة لعرفت من عذري أضعاف ما أبديته، واحتججت لي بأكثر مما نشرته وطويته، وإذا أنعمت النظر تيقنت أن لله جل وعز في خلقه أحكاما لا يعازُّ عليها ولا يغالب فيها، لأنه لا يبلغ كنهها ولا ينال غيبها، ولا يعرف قابها ولا يقرع بابها، وهو تعالى أملك لنواصينا، وأطلع على أدانينا وأقاصينا، له الخلق والأمر، وبيده الكسر والجبر، وعلينا الصمت والصبر إلى أن يوارينا اللحد والقبر، والسلام. إن سرَّك جعلني الله فداك أن تواصلني بخبرك، وتعرفني مقر خطابي هذا من نفسك فافعل، فإني لا أدع جوابك إلى أن يقضي الله تعالى تلاقيا يسر النفس، ويذكر حديثنا بالأمس، أو بفراق نصير به إلى الرمس، ونفقد معه رؤية هذه الشمس، والسلام عليك خاصة بحق الصفاء الذي بيني وبينك، وعلى جميع إخوانك عاما بحق الوفاء الذي يجب علي وعليك، والسلام.

وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة أربعمائة.»

الهوامش:

(١) قال المعلق على معجم الأدباء ج ١٥ص ١٧: (أي باطن الأصبع).

(٢) قوله: وتريع في الخاطر أي تردد فيه.

(٣) لم أجد فيما توفر لي من مراجع شاعر يسمى «الورد الجعدي» إلا أنني قد وجدت

صاحب اللسان استشهد بشعر لشاعر اسمه (أبو الورد الجعدي) وذكر اسمه هكذا في ثلاث مواضع من كتابه راجع ج ٣/ ١٨٢٨ وج ٧/ ٤٠٢٤ وج ٨/ ٤٥٥٠ ولعل هنا وجد خطأ من الناسخ أو وهم.

(٤) الواعية: الصارخة وهو اسم فاعل خصوصا وقيل: عن الواعية الصراخ على الميت /راجع اللسان ج ٨/ ٤٨٧٧.

(٥) مختلف في اسمه فقيل «زيان» وقيل «العريان» وقيل اسمه كنيته ورجح ذلك ابن خلكان في الوفيات ج ٣/ ٤٦٦ وراجع إنباه الرواة ج ٤/ ١٣١.

(٦) جاء في أنباه الرواة ج ٤/ ١٣٣ (وقال أبو عبيد: كان أبو عمرو اعلم الناس بالعرب والعربية وبالقرآن والشعر... وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف ثم أنه تغير فأحرقها كلها...)

ويوضح هذا التغير الذي طرا على أبي عمرو بن خلكان في الوفيات ج ٣/ ٤٦٦ فيقول: «...وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى السقف ثم أنه تقرأ أي تنسك فاخرجها كلها...» هكذا في الوفيات اخرجها والصحيح أحرقها.

(٧) هو أبو سليمان داود بن نصير توفي سنة ١٦٢ هـ وقيل ١٦٥ هـ له ترجمة مطولة في حلية الأولياء ج ٧/ ٣٣٥ وراجع ترجمته في تاريخ بغداد ج ٨/ ٣٤٧ وسير أعلام النبلاء ج ٧/ ٤٢٢ وغيرها.

(٨) جاء في تاريخ بغداد ج ٨/ ٣٤٧: «...سمعت ابن عيينه يقول: إن داود الطائي ممن علم وفقه قال وكان يختلف إلى أبي حنيفة حتى نفذ في ذلك الكالم قال فأخذ حصاة فحذف بها إنسانا فقال له: يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك قال فاختلف بعد ذلك سنة لا يسأل ولا يجيب فلما علم أنه يصبر عمد إلى كتبه فغرّقها في الفرات ثم أقبل على العبادة وتخلى...»

(٩) (الزاهد من سادات المشايخ له مواعظ وحكم) راجع الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ٩/ ١٦٩ وله ترجمة في الجرح والتعديل ج ٩/ ٢١٨ وحلية الأولياء ج ٨/ ٢٣٧.

(١٠) ذكر البخاري وابن أبي حاتم انه دفن كتبه راجع سير أعلام النبلاء ج ٩/ ١٧١ والجرح والتعديل ج ٩/ ٢١٨.

(١١) هو عبد الرحمن بن أحمد وقيل ابن عطية وقيل ابن عسكر العنسي مختلف في اسم أبيه له ترجمة في الجرح والتعديل ج ٥/ ٢١٤ وحلية الأولياء ج ٩/ ٢٥٤ وتاريخ بغداد ج ١٠/ ٢٤٨ وسير أعلام النبلاء ج ١٠/ ١٨٢ وغيرها توفي الداراني سنة ٢١٥ هـ وقيل ٢٠٥ هـ.

(١٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري غني عن التعريف طول الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ٧/ ٢٢٩ في ترجمته حتى أنها تصلح أن تكون جزءا مستقلا وهي أطول ترجمة وجدتها لهذا الإمام وقد توفي الثوري عام ١٦١ هـ.

(١٣) جاء في سير أعلام النبلاء ج ٧/ ٢٦١ « ...عن الأصمعي: إن الثوري أوصى أن تدفن كتبه... » وجاء في السير أيضا ج ٧/ ٢٦٧ قال أبو سعيد الأشج: سمعت « ...أبا عبد الرحمن الحارثي يقول: دفن سفيان كتبه فكنت أعينه عليها... »

(١٤) (والزاهد من سادات المشايخ له مواعظ وحكم) راجع الذهبي في سبر أعلام النبلاء ج ٩/ ١٦٩ وله ترجمة في الجرح والتعديل ج ٩/٢١٨ وحلبة الأولياء ج ٨/٢٣٧.

(١٥) المقابلة هي العلمية التي تتم بعد أن ينسخ الناسخ أو التلميذ الكتاب وفي هذه الحالة يقابل النسخة الجديدة بنسخة الشيخ أو بنسخة كتاب موثوق السماع وهو ما يسمى أحيانا بالأصل وهو أيضا عمل يقوم به الوراق ومطلوب منه ذلك حتى تخرج النسخة الجديدة مقابلة ومصححة وكأنها الأصل وهو ما كان يفعله أبو حيان.

(١٦) أي تسويد الكتاب وهو المرحلة ما قبل الأخيرة ثم تبييضه وهي المرحلة الأخيرة.

علي ابن مسهر[1]

هو علي بن مسهر القرشي أبو الحسن الكوفي الحافظ قاضي الموصل.

روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، وموسى الجهني، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش وجمع.

وروى عنه أبو بكر، وعثمان ابنا أبي شيبة، وخالد بن مخلد، وإسماعيل بن الخليل، وبشر بن آدم، وزكريا بن عدي، وجمع، وأخرج حديثه الجماعة. قال يحيى بن معين قال ابن نمير: «كان قد دفن كتبه.»

وعن يحيى بن معين أنه ولي قضاء أرمينية فاشتكى عينه فدس القاضي الذي كان بأرمينية إليه طبيبا فكحله فذهبت عينه فرجع إلى الكوفة أعمى.

وقد ذكره ابن حيان في الثقات وقال مات سنة تسع وثمانين ومائة.

الهوامش:

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ / ٣٨٣ .

أبو عمرو بن العلاء

اختلف في اسمه فقيل زيان وقيل العريان، والمشهور أن اسمه كنيته وهو الراجح عند جمهور العلماء، قال المبرد: هو من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم.

إمام في القراءة والنحو واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين وروى عنه جماعة.

جاء في كتاب أنباه الرواة للقفطي: «...وقال أبو عبيد: كان أبو عمرو أعلم الناس بالعربية وبالقرآن وبالشعر... وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب السقف ثم أنه تغير فأحرقها كلها...»[1]

ويوضح هذا التغير الذي طرأ على أبي عمرو. ابن خلكان في وفيات الأعيان[2] فيقول: «...وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له قريب السقف ثم أنه تقرأ أي تنسك – فأخرجها[3] كلها...»

الهوامش:

(١) راجع كتاب «أنباه الرواة على أنباة النحاة» للقفطي ج ٤ / ١٣٣ .

(٢) ج ٣ / ٤٦٦ .

(٣) كذا في الوفيات والصحيح (أحرقها) .

أبو سعيد بن المطلب (ت ٤٧٨)[1]

قال أبو الفرج بن الجوزي:

« محمد بن علي بن المطلب، أبو سعيد:

كان قد قرأ النحو واللغة والسير والآداب وأخبار الأوائل وقال شعرا كثيرا، إلا أنه كثير الهجوم ثم مال عن ذلك، وأكثر الصوم والصلاة، والصدقة، وروى الحديث عن أبي بشران، وابن شاطان، وغيرهما، وغسل مسودات شعر، واحرق بعضها بالنار... توفي... وهو ابن ست وثمانين سنة. »

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ج ١٦/٢٥٢ وكتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢/ ١٢٠.

ابن الجعابي (ت سنة ٣٥٥ هـ)[1]

هو محمد بن عمر بن محمد بن سالم بن البراء بن سبرة بن سيار أبو بكر التميمي يعرف بابن الجعابي قاضي الموصل.

حدث عن: عبد الله بن محمد بن البختري الحنائي، ومحمد بن الحسن بن سماعة الحضرمي، وأبي خليفة الفضل بن الحباب، ومحمد بن جعفر القتات، وجعفر الفريابي، وخلق كثير.

وحدث عنه: أبو الحسن الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، وابن مندة، والحاكم وخلق كثير.

«ذكر الأزهري: أن ابن الجعابي لما مات صُلّي عليه في جامع المنصور، وحمل إلى مقابر قريش فدفن بها. قال وكانت سكينة نائحة الرافضة تنوح على جنازته، وكان أوصى بأن تحرق كتبه فأحرق جميعها وأحرق معها كتب للناس كانت عنده. قال الأزهري: فحدثني أبو الحسن بن البواب قال: كان لي عند ابن الجعابي مائة وخمسون جزءاً فذهبت في جملة ما أحرق»

«قال ابن شاهين: دخلت أنا وابن المظفر، والدارقطني على ابن الجعابي وهو مريض، فقلت له: من أنا؟ قال: سبحان الله ألستم فلانا وفلاناً؟ وسمانا، فدعونا وخرجنا، فمشينا خطوات، فسمعنا

الصائح بموته، ورأينا كتبه تل رماد.»

الهوامش:

(١) راجع تاريخ بغداد ج ٣/ ٢٦، وسير أعلام النبلاء ج ١٦/ ٨٨

أبو بكر السمعاني التميمي المروزي ت٥١٠

هو أبو بكر محمد بن الحافظ العلامة أبي المظفر منصور بن محمد التميمي المروزي[1] والد الحافظ أبي سعيد السمعاني.

قال اليافعي: «...كان محمد... إماما فاضلا محدثا فقيها حافظا شافعيا، وله الإملاء الذي لم يسبق إلى مثله تكلم على المتون والأسانيد وأبان مشكلاته وله عدة تصانيف وشعر غسله قبل موته.»

الهوامش:

(١) راجع كتاب «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي المكي ج ٣/ ٢٠٠، شذرات الذهب ج ٣/ ٢٩.

أبو كريب ت ٢٤٨ هـ[١]

هو محمد بن العلاء بن كريب أبو كريب الهمداني الكوفي حافظ ثقة إمام في الحديث، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة.

حدث عن: أبي بكر بن عياش، وعبد الله بن المبارك وعبد الرحيم بن سليمان، وعمر بن عبيد، وسفيان بن عيينه، وحفص بن غياث، ومعتمر بن سليمان وجمع من المشايخ.

وحدث عنه: محمد بن يحيى الذهلي، وأبو زرعة وأبو حاتم، وابن أبي الدنيا، وعثمان بن خرزاذ، وموسى بن إسحاق، وعبد الله بن أحمد، وأصحاب الكتب الستة، وجمع من المحدثين.

قال مطين: «أوصى أبو كريب بكتبه أن تدفن فدفنت.»

الهوامش:

(١) سير إعلام النبلاء ج ١١ / ٢٩٤.

صدر الدين بن الوكيل ت ٧١٦ هـ

هو محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد الأموي صدر الدين بن الوكيل وابن المرحل ويقال له ابن الخطيب.

ولد في دمياط سنة ٦٦٥ هـ وتلقى العلم عن مجموعة من علماء عصره، قال ابن حجر العسقلاني: «وتقدم في الفنون وفاق الأقران وقال الشعر فلم يتقدمه فيه أحد من أبناء جنسه وأتى فيه بالمرقص والمطرب، وكان أعجوبة في الذكاء... وحفظ ديوان المتنبي في جمعه، والمقامات في كل يوم مقامة وكان لا يمر بشاهد للعرب إلا حفظ القصيدة كلها، وكان نظارا مستحضرا أفتى وهو ابن عشرين سنة وكان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه... وكان في صدر الدين لعب ولهو... وكان إذا مرض غسل ما نظمه من الشعر وكان قادرا على النظم مطبوعا فيه غواصا على المعاني، لكن كان في المهمات يستعين بشعر غيره...»[١]

وكانت وفاته بمصر سنة ٧١٦ هـ ولما بلغت وفاته ابن تيمية قال: أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين وتأسف الناس عليه كثيرا. كذا في الدرر.

الهوامش:

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، ج ٤ / ١١٥ لابن حجر العسقلاني.

ابن الحذّاء القرطبي

هو محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب التميمي أبو عبد الله بن الحذاء القرطبي المالكي.[1]

جاء في كتاب الصلة قال أبو علي الغساني: «كان أبو عبد الله بن الحذاء أحد رجال الأندلس فقها وعلما ونباهة، متفننا في العلوم يقظا، ممن عُني بالآثار وأتقن حملها، وميز طرقها وعللها، وكان حافظا للفقه، يقظا بصيرا بالأحكام إلا أن علم الأثر كان أغلب عليه...»

له كتاب التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس وكتاب الأنباء على معاني أسماء الله وكتاب النشر في تأويل الرؤيا.

توفي في سرقسطة سنة ٤١٦ هـ وأوصى أن يدخل في أكفانه كتابه المعروف بالأنباء على أسماء الله فنثر ورقه وجعل بين القميص والأكفان.

الهوامش:

(١) راجع ترجمته في كتاب الصلة ج ٢ / ٤٧٩، الديباج ص٢٧٢، الوافي بالوفيات ج ١٩٦/٥.

ابن فروخ الحافظ ت ٢٤٤ هـ

هو مجاهد بن موسى الحافظ الإمام الزاهد أبو علي الخوارزمي نزيل بغداد.

حدث عن: هشيم، وأبي بكر بن عياش، وسفيان بن عيينه، وإسماعيل بن عليه، وجمع.

وحدث عنه الجماعة سوى البخاري وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم، وإبراهيم الحربي، وموسى بن هارون، وجماعته.

«قال الخطيب: قرأت في كتاب عبيد الله بن جعفر: حدثنا أبو يعلي الطوسي، حدثنا محمد بن القاسم الأزدي، قال: قال لنا مجاهد بن موسى – وكان إذا حدث بالشيء رمى بأصله في دجلة، أو غسله – فجاء يوما ومعه طبق فقال: هذا قد بقي، وما أراكم تروني بعدها. فحدث به، ورمى به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك...»[١]

الهوامش:

(١) سير أعلام النبلاء ج ١١/ ٤٩٥.

مؤمل بن إسماعيل

هو مؤمل بن إسماعيل العدوي مولى آل الخطاب. نزيل مكة. روى عن عكرمة بن عمار، وأبي هلال الراسبي ونافع بن عمر الجمحي وشعبة، والسفيانين ابن عيينه والثوري وغيرهم.

وروى عنه أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، وآخرون.

وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات سنة ست ومائتين ٢٠٦ (هـ)، وقال البخاري مات سنة خمس أو ست، وقال غيره «دفن كتبه فكان يحدث من حفظه فكثر خطأه.»[١]

الهوامش:

(١) تهذيب التهذيب ج ١٠/ ٢٨٠، ميزان الاعتدال ج ٤ /٢٢٨.

يوسف بن أسباط[1]

هو يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي.

حدث عن عامر بن شريح وسفيان الثوري وياسين الزيات.

وروى عنه أبو الأحوص، ومحمود بن موسى، والمسيب بن واضح، وعبد الله بن حبيب الأنطاكي.

قال العجلي: «صاحب سنة وخبر دفن كتبه، وقال لا يصلح...»

وقال البخاري: «كان دفن كتبه فصار لا يجيء بحديثه كما ينبغي.»

الهوامش:

(١) تهذيب التهذيب ج ١١/ ٤٠٧ ميزان الاعتدال ج ٤/٤٦٢ الكال في ضعفاء الرجال لابن عدي ج ٧/٢٦١٦.

المُلحق



أبو سعيد بن حمدون[1]

هو الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون تاج الدين، قال ياقوت الحمري «...كان رحمه الله من الأدباء العلماء الذين شاهدناهم، زكي النفس، طاهر الأخلاق، عالي الهمة، حسن الصورة، مليح الشيبة، ضخم الجثة، كث اللحية وطويلها، طويل القامة، نظيف اللبسة، ظريف الشكل، وهو ممن صحبته فحمدت صحبته، وشكرت أخلاقه، وكان قد ولي عدة ولايات... ثم ولي عند الضرورة كتابه السكة بالديوان العزيز ببغداد، يرزق عشرة دنانير في الشهر... وكان من المحبين للكتب واقتنائها، والمبالغين في تحصيلها وشرائها وحصل له من أصولها المُتْقَنَة، وأمهاتها المعينة، ما لم يحصل... للكثير، ثم تقاعد به الدهر وبطل عن العمل، فرأيته يخرجها ويبيعها وعيناه تذرفان بالدمع كالمفارق لأهله الأعزاء، والمفجوع بأحبابه الأودَّاء. فقلت هوِّنْ عليك - أدام الله أيامك - فإن الدهر ذو دول، وقد يسعف الزمان ويساعد، وترجع دولة العز ويعاود، فتستخلف ما هو أحسن منها وأجود.

فقال: حسبك يا بني: هذه نتيجة خمسين سنة من العمر

أنفقتها في تحصيلها، وهب أن المال يتيسر. والأجل يتأخر - وهيهات - فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا الفراق، الذي ليس بعده تلاق...»

الهوامش:

(١) معجم الأدباء ج ٩ / ١٨٤.

ابن سينا

قال ابن العماد الحنبلي:

«...وفيها أبو علي بن سينا الرئيس الحسين عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة والطب وله من الذكاء الخارق والذهن الثاقب ما فاق به غيره وأصله بلخي ومولده ببخارى وكان من دعاة الأسمعيلية فأشغله في الصغر وحصل عدة علوم قبل أن يحتلم وتنقل في مدائن خراسان والجبال وجرجان ونال حشمة وجاها وعاش ثلاثا وخمسين سنة، قال ابن خلكان في ترجمة ابن سينا اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم وأعتق مماليك وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة ثم مات بهمذان يوم الجمعة في شهر رمضان قاله جميعه في العبر وقال ابن خلكان كان أبوه من العمال الكفاة تولى العمل بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثن من أمهات قراها وولد الرئيس أبو علي وكذلك أخوه بها واسم أمه ستارة وهي من قرية يقال لها أفشنة بالقرب من خرميثن ثم انتقلوا إلى بخارى وتنقل الرئيس بعد ذلك في البلاد واشتغل بالفنون وحصل العلوم والفنون ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن القرآن العزيز والأدب

وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهند والجبر والمقابلة ثم توجه نحوهم الحكيم أبو عبد الله الناتلي فأنزله أبو الرئيس عنده فابتدأ أبو علي يقرأ عليه كتاب أيساغوجي وأحكم عليه علم المنطق وإقليدس والمجسطي وفاقه أضعافا كثيرة حتى أوضح له رموزه وفهمه أشكالات لم يكن الناتلي يدريها وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد يقرأ ويبحث ويناظر ونظر في الفصوص والشروح وفتح الله تعالى عليه أبواب العلوم ثم رغب بعد ذلك في علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه وعالج تأدبا لا تكسبا وعلمه حتى فاق فيه على الأوائل والأواخر في أقل مدة وأصبح فيه عديم القرين فقيد المثيل واختلف إليه فضلاء هذا الفن يقرؤون عليه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة وسنه إذ ذلك نحو ست عشرة سنة وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكاملها ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع وصلى ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له وذكر عند الأمير نوح الساماني صاحب خراسان في مرضه فأحضره وعالجه حتى بريء واتصل به وقرب منه ودخل دار كتبه وكانت عديمة المثل فيها من كل فن الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها وحصل نخب فرائدها واطلع على أكثر علومها واتفق بعد ذلك احتراق تلك الخزانة فتفرد أبو علي بما حصل من علومها وكان يقال أن أبا علي توصل إلى

إحراقها بمعرفة ما حصله منها وينسبه إلى نفسه ولم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التي عاناها وتوفي أبوه وسن أبي علي اثنتان وعشرون سنة وكان يتصرف هو ووالده في الأحوال ويتقلدون للسلطان الأعمال.»[1]

الهوامش:

(١) نقل بنصه عن كتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، لابن العماد الحنبلي ج ٣/ ٢٣٤.

المبشر بن فاتك

هو الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فاتك الأميري، وكان من وجهاء أمراء مصر، وأفاضل علمائها. دائم الاشتغال محب للفضائل والاجتماع بأهلها ومباحثتهم.

صنف تصانيف جليلة في المنطق وغيره من أجزاء الحكمة، وقد وجدت بخطة كتب كثيرة من تصانيف المتقدمين. وكان قد اقتنى كتبا كثيرة جدا. وكثير منها يوجد وقد تغيرت ألوان الورق الذي له بغرق أصابه. قال ابن أبي أصيبعة: «وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي بمصر قال: «كان الأمير ابن فاتك محبا لتحصيل العلوم، وكانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة، ويرى أن ذلك أهم ما عنده. وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضا من أرباب الدولة.. فلما توفي، رحمه الله، نهضت هي وجواري معها إلى خزائن كتبه. وفي قلبها من الكتب، وأنه كان يشتغل بها عنها. فجعلت تندبه، وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار.. هي وجواريها. ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها. فهذا سبب أن كتب المبشر بن فاتك

يوجد كثير منها وهي بهذه الحال.»[١]

الهوامش:

(١) راجع كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبة ص ٥٦٠.

الماوردي

هو القاضي أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي الشافعي[1] صاحب الكتب المشهورة مثل كتاب (الأحكام السلطانية) وكتاب (أدب الدنيا والدين) وكتاب (الإقناع) وكتاب (قانون الوزارة وسياسة الملك) وكتاب (تفسير القرآن الكريم) وغيرها ولي القضاء في عدة بلدان ثم سكن بغداد وتوفي في بغداد سنة ٤٥٠ عن ست وثمانين سنة.

قال اليافعي: «...وقيل أنه لم يظهر شيئا من تصانيفه في حياته وإنما جمع جميعها في موضع فلما دنت وفاته قال لشخص يتولاه: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي.. وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضتُ عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل (من سنن) منها فألقها في دجلة وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قد قبلت وقد ظفرت بما كنت أرجوه ففعل الموصى ذلك فبسط يده ولم يقبضها على يده فعلم أنها علامة القبول فأظهر كتبه بعده.»

الهوامش:

(١) توجد ترجمة في كتاب «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي المكي ج ٣/ ٧٢ والوافي بالوفيات للصفدي ج ٢١/ ٤٥١.

المحتويات

هذا الكتاب

هذا جزء لطيف في حجمه جمعت فيه بعض ما مر بي من حوادث وأخبار إتلاف الكتب في التراث العربي قصرته على نوعين فقط من الإتلاف..

النوع الأول: إتلاف السلطة للكتاب، وتتجلى السلطة هنا بجميع أنماطها وتحليلاتها سواء كانت هذه السلطة تتمثل بسلطة الحاكم أو المجتمع أو الفرد أو تتمثل بسلطة الأيديولوجيا أو العادات والتقاليد، وكان لها دور في إتلاف الكتاب ومطاردته ونفيه.

النوع الثاني: الإتلاف الشخصي للكتب، ويتمثل بالإتلاف لأسباب علمية أو اعتقادية أو نفسية، وهو كثير في تراثنا العربي والإسلامي.

